مجلة الإيسيسكو

ثقافية فصلية شاملة
العدد 03 ◆ يوليو 2025

من باكو... تشرق رؤى الإيسيسكو

الميتافيرس
وتجليات الأدب

د. سعد البازعي
نعم قد يخسر الشعر في الترجمة، لكنه يكسب أيضاً

د. حسن طلب
الشعر العربي الآن ليس بخير!

الأدب الأخضر
قصائد وسرديات تحرس الطبيعة

الخميسيات المؤنسة
تقريب المسافات بين الحكمة والشعر والجمال

السبيل
إرواء عطش المارة لوجه الله

أثر الاستشراق
في حفظ ونقل الثقافة العربية

السيرة الذاتية والأنواع المجاورة
ملف العدد

مؤتمر الصحة النفسية والرفاه للشباب والنساء - مقر الإيسيسكو - 15 مايو 2025

هيئة التحرير

المشرف العام
الدكتور سالم بن محمد المالك
المدير العام للإيسيسكو

رئيس التحرير
روضة الحاج

مدير التحرير
د. أنس النعيمي

أعضاء هيئة التحرير
أ. عادل بوراوي
د. زيد أبو شمعة
أ. رنا الأصبحي

الإخراج الفني
مركز الترجمة والنشر

رقم الإيداع القانوني
2025PE0012

مدخل مكتب الإيسيسكو الإقليمي بباكو

مجلة الإيسيسكو

ثقافية فصلية شاملة

العدد 03 ◆ يوليو 2025

عنوان منظمة الإيسيسكو
شارع الجيش الملكي، حي الرياض
ص.ب. 2275، ر.ب. 10104، الرباط، المملكة المغربية

الموقع الإلكتروني للمنظمة
www.icesco.org

البريد الإلكتروني للمنظمة
Contact@icesco.org

البريد الإلكتروني للمجلة
icesco_magazine@icesco.org

+212-5375-66052

+212-5375-66012/13

www.icesco.org
info@icesco.org

الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي منظمة الإيسيسكو

في هذا العـــدد

د. حسن طلب 8
الشعــر العربـي الآن ليس بخــير!

السيرة الذاتية والأنواع المجاورة 16
ملف العدد

الخميسيـات المؤنسـة 44
تقريب المسافات
بين الحكمة والشعر والجمال

د. سعـد البـازعي 50
نعم قد يخسر الشعر في الترجمة،
لكنه يكسب أيضاً

مكـاتب الإيسيسكو الإقليمية: 56
منارات إشعاع حضاري عابر للقارات

60 **أثـر الاستشـراق**
فـي حفـظ ونقـل الثقافـة العربية

66 **الميتافيـرس**
وتجليـات الأدب

70 **الأدب الأخضر**
قصائد وسرديات تحرس الطبيعة

76 **الشجرة والأرض**
فلسفة التسامح في فكر ابن الخطيب الأندلسي

90 **السبيل**
إرواء عطش المارة لوجه الله

مدينة حلب القديمة -سوريا - قائمة الإيسيسكو للتراث في العالم الإسلامي

كلمة العدد

د. سالم بن محمد المالك
المدير العام

إن افتتاح مكتبٍ إقليمي للإيسيسكو يتجاوز كونه شموخ مبنىً ما؛ في عاصمةٍ ما، عليه اسم ورسم الإيسيسكو؛ ليستحيل إلى معانٍ أكبر وأجمل وأبهى، فهو شمسٌ للمعرفة والتواصل والحضارة والسلام والثقافة؛ تعلقها المنظمة لتضيء أبعد من مدى رؤيتنا، ولتشعَّ بالدفء على إقليم كامل من أقاليم العالم الإسلامي، ولتشكِّل جسرًا تعبر عليه الأواصرُ والصلاتُ والرؤى التي تجمع بين دول العالم الإسلامي كافة.

مرحباً بمكتب (باكو) الإقليمي في عائلة الإيسيسكو الكبيرة، إضافةً ثرةً لمنظومة مكاتبنا الإقليمية، وذراعًا فتيةً ينتظر منها الكثير في محيط عملها الذي يشمل جزءًا عزيزًا من عضويتنا في منطقة آسيا الوسطى.

لقد قدّر الله لنا جولة غنية في هذه الأنحاء الثرية بحضارتها وثقافتها وتراثها كان من أبرز محطاتها اللقاء بفخامة رئيس جمهورية ترستان السيد رستم مينيخانوف، وفخامة رئيس جمهورية طاجكستان السيد إمام علي رحمان ومعالي السيد داتو سري أنور إبراهيم، رئيس وزراء ماليزيا ووزيري الخارجية بجمهورية أوزبكستان السيد بختيار سعيدوف وجمهورية طاجكستان السيد سراج مهر الدين، ووزيري الثقافة الأندونيسي والاوزبكي واللقاء بنائب وزير الثقافة الروسي السيد أندرية ماليشيف فضلًا عن العديد من الزيارات لمؤسسات ذات صلة بمجالات عمل المنظمة؛ أسفرت جميعها عن مشاريع مشتركة سترى النور قريبًا بحول الله.وذلك في إطار إطلاق فعاليات الاحتفاء بسمرقند عاصمة للثقافة في العالم الإسلامي والترتيب لتسمية قازان عاصمة للثقافة في العالم الإسلامي للعام 2026 ومشاركتنا في المؤتمر الدولي للحفاظ على الأنهار الجليدية في دوشنبة عاصمة جمهورية طاجكستان.

من جهة أخرى كانت مشاركة الإيسيسكو في أعمال الدورة الحادية والعشرين لمنتدى التعليم العالمي تحت شعار "من الاستقرار إلى النمو معًا نبني تعليمًا أقوى وأكثر جرأة" فرصة طيبة لتبادل الأفكار وتعزيز العلاقات المشتركة بين المنظمة ونظيراتها ولقاء عدد من مسؤولي التعليم في العالم. فقد التقينا الدكتور أرجون سودو نائب الأمين العام لمنظمة الكمونولث والسيد سكوت ماكدونالد الرئيس التنفيذي للمجلس الثقافي البريطاني فضلًا عن لقاء وزير التربية والتعليم والتعليم العالي الأردني، ووزيرة التعليم ما قبل المدرسي والمدرسي بأوزبكستان ووزير التربية السوري وعدد من كبار المسؤولين؛ لنتوج هذه المشاركة بعقد الحوار الوزاري الثاني رفيع المستوى لوزراء التربية بالعالم الإسلامي تحت شعار (تحويل التعليم من أجل التنمية المستدامة والاقتصادات القائمة على المعرفة) وقد كانت رؤية الإيسيسكو حاضرة في جل هذه اللقاءات خاصة ما يتعلق بتطوير التعليم والتدريب التقني والمهني والتوسع في برنامج اللاجئين الذي يستهدف تعليم الفتيات ليشمل البلدان المتضررة من النزاعات.

إن خطى الإيسيسكو الواثقة وهي تمضي قُدُمًا لتحقيق غاياتها المنشودة في مجالات التربية والعلوم والثقافة؛ تزداد رسوخًا يومًا بعد يوم، يعزّزها شغف العاملين بالمنظمة والخبرات النادرة والمتميزة التي تواصل الإبداع والابتكار والمبادرة.

..نعد بالمزيد من العطاءات والكثير من المبادرات الخلاقة والتي سيكون لكل دولنا الأعضاء نصيب وافر منها التزامًا منا برسالة ورؤية الإيسيسكو والتي تستهدف الارتقاء والنماء والرفاه لكل عضو فيها في حقول عملها على شساعتها وتعددها.

ختامًا أود أن أتوجه بالشكر أجزله للمؤسسة الدبلوماسية بالمملكة المغربية وهي تخصنا بالجائزة الدولية للدبلوماسية الشعبية وأخص بالشكر معالي وزير التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة رئيس اللجنة الوطنية المغربية للتربية والعلوم والثقافة السيد محمد سعد برادة والسيد عبد العاطي حابك رئيس المؤسسة الدبلوماسية والسيد صلاح الدين مزوار رئيس لجنة حكماء الجائزة، وأهدي هذا التكريم لكل العاملين بالإيسيسكو فهم شركاء النجاح ورفقاء هذه الرحلة الثّرة في دروب التربية والعلوم والثقافة دروب الإيسيسكو.

مجمّع برامبانان -إندونيسيا - قائمة الإيسيسكو للتراث في العالم الإسلامي

كلمة التحريـــر

عددٌ جديد وقصص نجاح وتميز وعطاء جديدة

تواصل مجلتكم مجلة الإيسيسكو الثقافية تألقها الجسور بمتابعاتكم وملاحظاتكم وإسهاماتكم الثرّة عبر البريد الإلكتروني للمجلة؛ في سعيها الدؤوب لإثراء المشهد الثقافيّ العربيّ بهذه الانتقاءات المختارة ضمن مجالات عمل المنظمة في التربية والعلوم والثقافة؛ مع التركيز على الجانب الثقافيّ والإبداعيّ واستقطاب أهم وأميز الأسماء الأكاديمية والأدبية والثقافية.

نحتفي عبر غلاف هذا العدد الجديد بافتتاح مكتب الإيسيسكو الإقليمي بمدينة باكو عاصمة جمهورية أذربيجان ليشكل منارة معرفية وثقافية وعلمية وتربوية؛ يشع ضياؤها على كل منطقة آسيا الوسطى وليشكّل حلقةَ وصل للثقافات واللغات والرؤى المشتركة التي تجمع بين دول العالم الإسلامي.

يحتوي هذا العدد الجديد على عدد من المواد المتنوعة ذات القيمة العلمية والثقافية العالية، وقد اخترنا أن يكون ملف العدد حول السيرة الذاتية والأنواع المجاورة، وشرفنا بمساهمات نوعية شارك فيها الدكتور محمد الداهي الأستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط بمقال (وضع اليوميات في المُدوَّناتِ العربيَّةِ) والدكتورة نجوى عمامي الباحثة بمخبر السّرديّات والدّراسات البينيّة بكلية الآداب والفنون والإنسانيّات بمنوبة تونس بمقال (اليوميّات الخاصّة واللّحظات المُخَلَّدة) والأستاذ كمال عبد الرحمن الباحث والكاتب العراقي بمقال (قراءة جديدة في السيرة الذاتية) والدكتورة جليلة الطريطر أستاذة التعليم العالي بجامعة تونس والمترجمة بمعهد تونس للترجمة مديرة مجلة الكراسات التونسية بمقال (المدرسة النّسويّة العالمة في عصر النّهضة العربيّة الحديثة) فيما استعرضت الكاتبة مديحة مدير من المملكة العربية السعودية كتاب (أمواج) وهو كتاب السيرة الذاتية للدكتور الأديب عبد الله إبراهيم صاحب موسوعة السرد العربي كنموذج لأدب السيرة.

لقد سعدنا في هذا العدد بحوارين مهمين؛ حوار المترجم والأكاديمي وأستاذ الأدب الإنجليزي والأدب المقارن بالجامعات السعودية والناقد المعروف والأديب الدكتور سعد البازعي حول قضايا الثقافة والترجمة والشعر وقد كان لقاء ثرياً وماتعاً. وحوار الشاعر الكبير والفيلسوف الدكتور حسن طلب والذي كان توثيقاً لحقبة شعرية مهمة وشهادة حية على عدد من الأحداث والمرويات والمواقف التي شكلت جيلاً شعرياً كاملاً مثله الدكتور حسن طلب.

ومن المواد المهمة في هذا العدد مادة السبيل والتي يستعرض من خلالها الدكتور خالد عزب الباحث في التراث تاريخ وطرز الأسبلة والدور الاجتماعي والتراثي والثقافي للسبيل وأنواع الأسبلة وتطورها عبر الزمان. كذلك مثلت مادة الميتافيرس وتجليات الأدب للدكتور محمود الضبع إضافة مهمة وثرية لجدتها في ربط الميتافيرس بالأدب.

وتنتثر الموضوعات المتنوعة بين اللغة العربية والتصوف والشعر والأدب واستعراض قوائم الإيسيسكو للتراث العالمي، وغيرها من الموضوعات التي ستطالعونها في ثنايا هذا العدد.

إن فرصة هذه المجلة في أن تشكل علامة فارقة في المشهد الأدبيّ والثقافيّ؛ وأن تربط بين أطراف العالم الإسلامي ثقافياً فرصة عظيمة وكبيرة، فما أجدرنا بمعرفة آداب عالمنا الإسلامي وتنشيط حركة الترجمة والتواشج والمثاقفة بين المراكز البحثية والجامعية وتمتين الأواصر التي تجمع بين أطراف العالم الإسلامي المختلفة؛ تأكيداً للدور العظيم الذي تقوم به منظمة الإيسيسكو في ردم الهوّة التواصلية واللغوية، بل والثقافية أحياناً بين دول العالم الإسلامي. فما يجمع بينها كبير وعظيم ولا ريب. ما يتماشى مع توجهات المنظمة وتوجيهات مديرها العام. ولعل مقبل الأعداد يشهد انفتاحاً وتوظيفاً لإدارة هذا التنوع الخلّاق.

ICESCO_MAGAZINE@ICESCO.ORG

روضة الحاج

حـــوار

فيلسوف الشعراء د. حسن طلب

الشعـــر العربـــي الآن ليس بخـــير!

على مدى أكثر من خمسين عاما ظل الشاعر المصري الدكتور حسن طلب المولود عام 1944 بمدينة طهطا بمحافظة سوهاج يضيء ديوان الشعر العربي بحفرياته فى عوالم اللغة والفلسفة والرموز، فى فضاء التجريب والحداثة. وتنوع نتاجه الإبداعي بين الشعر والدراسات الفلسفية. والعديد من الإصدارات الأخرى فى قضايا الإبداع والمبدعين والتى تولى الإشراف عليها والتحرير والمراجعة إبان عمله نائبا لرئيس تحرير مجلة إبداع.وقد حظيت أعماله بكثير من الدراسات والترجمة إلى عدد من اللغات العالمية الحية.

وقد شارك الدكتور حسن طلب فى العديد من المؤتمرات الأدبية والشعرية فى أغلب دول العالم ونال العديد من الجوائز المحلية والإقليمية. بجانب ذلك فهو يعمل أستاذا لعلم الجمال بكلية الآداب قسم الفلسفة بجامعة حلوان. التقته مجلة الإيسيسكو الثقافية بمنزله بحي الدقي بالقاهرة؛ وسط غابة من الكتب التى لم تترك زاوية أو ممراً فى شقته الأنيقة إلا وأخذت موقعها فيه، وكأني بها لم تترك لنا إلا مساحة قليلة تسمح بالجلوس والحوار مع هذا الشاعر الكبير. وقد طالت جلستنا لساعات بين ظلال الشعر وموسيقى الفلسفة وإيقاعات اللغة وراهن الإبداع.

حاوره: محمد نجيب محمد علي/القاهرة

الفلسفة هي أقرب العلوم الإنسانية إلى الشعر

منذ ديوانك الأول 1972 مروراً بـ(سيرة البنفسج) (وزمان الزبرجد) و(آية جيم) وحتى (لا نيل إلا النيل) ومابعدها من مختارات... هل مازلت ترى أن قصيدتك (أغنية معلقة في حبل مشنقة

وريشتك سفينة في الوحل غارقة

والألفاظ في المدينة ملفّقة)؟

هذا سؤال افتتاحي مهم وحافز على الحوار والحديث، مازالت أغانينا وكلماتنا كلها في هذا العصر الذي نعيشه معلقة في حبل المشنقة، ولكنها لم تشنق بعد. وعلينا أن نقوم بهذا الإنقاذ ما وسعنا الجهد لكي لا يتم إعدامها.نحن نسعى لإنقاذ الكلمة والأغنية، بالتالي فالخطر دائم وقائم في واقع نراه، ونرى حدّة الخطر فيه تزداد يوما بعد يوم، لذا علينا أن نبذل جهداً مضاعفا لكي ننقذ الكلمة وننقذ الأغنية من هذا الخطر الداهم.

عن تجربة جماعة إضاءة 77 ومجايليك. هل تحققت رؤيتكم الشعرية من خلال ما طرحتموه في بياناتكم (المانفيستو) بحسبان أن الشعر إدراك جمالي للواقع؟!

هذا السؤال يحيلنا إلى بدايات تكوين جماعة إضاءة 77 في ذات ذاك العام، حيث اجتمعنا كأصدقاء ونظرنا لحال القصيدة والشعر ووجدناهما تكرارا لما سبق وأنتجه الرواد. إذ كان هناك ركود شعري في منتصف السبعينيات. وصرنا نرى أن الأجيال التي أتت خلف الرواد كانت تحاول إعادة ما أنتجه الرواد (السياب والبياتي وعبد الصبور) فأصبحت القصيدة بلاصوت و صارت أصداءً لأصوات الآخرين. لم يكن هنالك شعر حقيقي حتى نكون امتدادا له. كنا نرى أنه لابد أن تكون هنالك ذائقة جمالية جديدة تخرج القصيدة من كبوتها، أي لابد من صيغة جمالية للقصيدة لا تهتم بأن تكون متفاعلة ومصوّرة للواقع وحده، وإنما أن يكون هذا التصوير عن طريق اللغة جماليا. ومع مرور الوقت رأيت أن المرض الذي تتعرض له أي جمعية أدبية هو أنها تتفق فى البدايات ثم تتحول إلى مجرد عصبة تنتصر لبعضها حقا وباطلا. وهذا يعني أن أنتصر للزميل لأنه زميل فقط وهنا مكمن الخطر. لأن الشعر شكل فردي وإذا لم تكن هناك أصوات متميزة فلن نصل إلى الهدف الذى نسعى لأجله.ومن ثم بدأت الجماعة تتفكك. .

عندما يفقد القارىء دليله ومرشده الناقد المسؤول تشيع الفوضى النقدية

ماذا يمكنك أن تقول عن صديقك الشاعر حلمي سالم ؟

كان هو أكثر الناس إخلاصا، هو الذي كان يحارب كلما وجد هناك ضعفا، حاول كثيرا أن يشدّ أزر الجماعة كي تستمر، بذل جهدا مضاعفا رحمه الله. وقدّم أيضاً إنتاجا متميزا، وأنا أعدّه أهم أفراد المجموعة. ولي قصيدة طويلة عنه بدأتها عقب رحيله عام 2012 لم تتم بعد. وحين أتت أصوات الثورة أخذتني شعريا لأكتب (إنجيل الثورة وقرآنها) فظلت هذه القصيدة معلّقة، لأنها (كلانا لاعب) وهذا اسمها، وهي رؤية لهذا الجيل كله. وستكون هي ديواني القادم.

لفتت قصائدك التي نشرت في مجلة الدوحة في ثمانينيات القرن الماضي النقاد من خلال رمزية (البنفسج)..منها قصيدة " بنفسجة ضد الغياب " ما المعنى والدلالة لهذه الرمزية ؟

كنا نرى في جماعة إضاءة 77 أنه لا بدّ أن تكون هنالك ذائقة جمالية جديدة تخرج القصيدة من كبوتها

صدور البنفسج كان عام 1986 بعد أربعة عشر عاما من صدور ديواني الأول (وشم على نهدَيْ فتاة) الذي صدر عام 1972. لقد انتظرت كل هذه السنوات حتى يكتمل البنفسج ويكون هناك عالم واحد للديوان. رغم أنني كتبت قصائد كثيرة متفرقة، لكنني أردت أن أخلص لرمز البنفسج حتى أستنفد كل ما فيه من طاقات. فرمز البنفسج هو رمز لرحلة البحث للإنسان لكي يقدم سيرة جمالية للواقع. فقد تتفاجأ برمز من قراءاتك ومن تجاربك للحياة يصلح لتصوير ما بداخلك ولتحقيق مشروعك الشعري الحالي. أنا فوجئت بهذا الرمز خاصة حين كنت أستمع إلى أغنية كان يقدمها مغنٍ قديم اسمه محمد طلب تقول:

(ليه يا بنفسج تبتهج وإنت حزين). .

البهجة والحزن اجتمعا في زهرة. هذا كان يقودني للتفكير في هذا التناقض الموجود في الزهرة، وكان ذلك حافزا لي أن أستمر وأقلّب كل الرؤى الممكنة للبنفسج على وجوهها حتى اكتمل الديوان. وناقشه شكري عيّاد الذي لم يكتب إلا عن شعر الروّاد عن عبد الصبور ونازك لأنه يختار بعناية من يكتب عنه. وعندما قرأ سيرة البنفسج تحمّس للرمز الجديد وناقش الديوان وكتب عنه دراسة مخالفة لما كتبه الآخرون عن البنفسج. هناك من كتب عنه بوجهة نظر قد تكون سالبة بالنسبة لي وقد تهين القارئ فمثلا المرحوم صلاح فضل رأى ان البنفسج يرجع لألاعيب لغوية وأنه ذكّرنا بشعر المماليك. وحينما قالوا لي رد على صلاح فضل وجابر عصفور قلت لهم أستاذهم شكري عيّاد رد عليهم فلماذا أرد أنا. لقد قال لهم شكري عيّاد نحن في البنفسج أمام عالم جديد يتقلب على وجوه شتى وكتب دراسة مهمة. وبعد اكتمال وصدور الديوان انتهى بالنسبة لي البنفسج وكان عليّ أن أبحث عن رمز جديد وهكذا.

هل حقاً أن استخدامك لرموز مثل البنفسج... زبرجدة الخازباز... وغيرها من الرموز هو استبدال للأقنعة التي استعملها من سبقك من الشعراء؟

الفضل هنا يعود لدراستي الفلسفية، لقد جعلتني أنظر للرمز بأنه ليس مجرّد رمز أدبي، أتى وراء الرومانسية أو بعدها وإنما هو أيضا رؤية للغة، اللغة بوصفها رموزا وليس بوصفها تسجيلا مباشرا

ترمز الورود في الإرث الإنسانيّ إلى الحب والجمال وروح التصوف والتحقّق والكمال. ماذا تعني الورود عند حسن طلب؟

الورود تعني ما يقابل الثمار، لأننا إذا نظرنا إلى الطبيعة وإلى ما تنبته لنا، سنجد من الأشجار ما ينبت لنا ثمارا نأكلها ونعيش بها وتطعمنا، وهذا شيء جميل طبعا، وهذه وظيفة نفعية تساعدنا على البقاء فهناك مثلا التفاح والبرتقال وهذه أشجار مثمرة، ولكن الأشجار التي تنبت زهوراً للجمال فقط لكي تجعلنا في حالة تذوق مستمرة لجمال الكون ولجمال النباتات ولجمال هذه الزهور، هذه الأشجار ليس لها ثمار. فأنت تذهب للوردة وتحاول أن تتحمل شوكها لكي تقطفها وتهديها لحبيبتك أو تستمتع بها وليس لها فائدة مباشرة مثل الثمرة.

الـورود تعنـي لـي الجمـال المطلـق المـتنزه عـن الفائـدة المبـاشرة التـي تؤتيهـا الأشـجار المثمـرة.

كيف تنظر الآن للمشهد الشعري العربي ؟

الشعر العربي الآن ليس في خير أحواله، لماذا ؟ لأن الحالة التي كانت تجمع بين الناقد والنص الشعري الجميل قد تفككت. أصبح النقد في اتجاه وما يجري في الواقع في إتجاه آخر. لقد فقد النقد وظيفته، وأصبح القارئ العادي غير قادر على أن يميز الغث من السمين. فالذي كان يستطيع أن يرشد القارئ هو الناقد الجاد. أمثال محمد مندور وعزالدين إسماعيل وعبد القادر القط إلى مصطفى ناصف ولطفي عبد البديع وشكري عيّاد وجاء بعد هؤلاء جيل آخر من النقاد.

> **رمزية البنفسج في شعري ألهمني إياها مقطع من أغنية شعبية يقول (ليه يا بنفسج تبتهج وإنت حزين)!**

إذن أنت ترى أن هنالك أزمة نقد ؟

نعم. عندما يفقد القارئ دليله ومرشده الناقد المسؤول تشيع الفوضى النقدية ويصبح النقد ترويجاً لتقليعة من التقليعات مثلا التقليعة التي أنشأها أدونيس وبدأ يحارب من أجل قصيدة النثر. أنشأها بحيث تنافس الشعر الموجود رغم أن طرح الشعر يتسع لأكثر من مذهب، يتسع للتفعيلة ويتسع للعمودي ويتسع للنثر. ولكنه أتى بهذه التقليعة لمحو الشعر الموزون على أساس أن الوزن حلية زائلة. هذه التقليعة أخذها أدونيس من شعر النثر الباريسي وحاول أتباعه أن ينشروها ونجحوا عند ضعاف الموهبة من الشعراء وطبعا ضعاف الموهبة هنا أزالوا عنهم عبئا ثقيلا حين تقول لهم لا يهم الوزن وأحيانا يقولون لهم لا تهم اللغة. بهذا ضاعت المعايير في هذه الفوضى النقدية. هنالك نظرية في الاقتصاد تقول حين تسود العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة. لذا أصبحت قصائد النثر مثل الخواطر ولا تجد نصا يستطيع أن يشبعك جماليا وأصبحت النصوص الجيدة نادرة وأصبحت العملة الرائجة هذه الفوضى الإبداعية والتي لن يبقى منها شيء في النهاية.

بماذا تعلل غياب الموسيقى والإيقاع فى الكثير من أشعار الشباب وشيوع قصيدة النثر ؟

من الممكن أن يكتب الشاعر قصيدة نثر جيدة من دون أن يجعل النثر محواً لجزء أساسي في مهنة الشعر. لأن الوزن في الشعر ليس إيقاعا، الوزن في الشعر نوع من محاكاة الموسيقى، لأن القصيدة. لها حضور موسيقي. وهم يردون على ذلك بانهم يستطيعون تعويض الموسيقى بالتقابل بين المعنى والمعنى الآخر. وأقول لهم لايوجد شيء يحل محل شيء في الشعر وإذا قلت هناك شيء يحل محل شيء في الشعر هذا يعني إنك تهدم شيئا أساسيا فيه، الشعر يخاطب الحس الإيقاعي للإنسان. ومن يقول هذا الرأي لا يستطيع أن يتذوق شعر المتنبي ولا المعري إذ الخطأ يكون فيه. يمكن للشاعر أن يكتب قصيدة نثر دون أن يجعل مذهبه ماحياً لكل تجربة أخرى. الشعر يقبل بالفن ويقبل بالتعدد. أنا في بعض الأحيان أكتب قصيدة تفعيلة تتخللها أبيات عمودية لأن من الممكن أن أحتاج إلى ما يشبه القرار وأحيانا لدي مقاطع نثر أيضا في القصيدة ولكني لا أرى أن حضور النثر يكون نافيا للتفعيلة. المهم أن تقدم لي شعراً جيدا بالنثر أو بالتفعيلة أو بالعمودي ولا تكرر الآخرين ولا تعيد إنتاج نفسك.

د. جابر عصفور

د. صلاح فضل

من خلال دراستك للفلسفة وتخصصك وتدريسك لها كيف ترى علاقة الشعر بالفلسفة وما تأثير ذلك على مجمل شعرك وسؤال الموت والحياة والحب ؟

هذا سؤال مهم عن علاقة الشعر بالفلسفة. أول ما يخطر على الذهن هو ما الذي يستفيده الشعر من الفلسفة ؟ الفلسفة هي علم الوعي الذي لا يقنع بالنظر إلى سطح الأشياء فهو يغوص لكي يعرف حقيقتها، ويبحث عن أعمق ما فيها وأنضر، والشعر أيضا يفعل ذلك ويستفيد من طابع العمق. ولذلك نجد فيلسوفا مثل كولن يصدّر كتابه بجملة يقول فيها أقرب العلوم إلى الحالة الشعرية هي أن تقرأ الفلسفة لما فيها من عمق، أما العلوم الأخرى مثل الاجتماع وغيره فهي تعتمد على الإحصاء والاستبيان. لذلك الفلسفة هي أقرب العلوم الإنسانية إلى الشعر. والشعر الخالي من الفلسفة يمكن أن تنساه بسرعة أما الشعر الذي يأخذنا للأعماق يفعل ما تفعله فينا الفلسفة، بلغته،بصوره، وبلاغته. طه حسين هو أول من نبّهنا إلى أبي العلاء المعري وهو من أشرف على طباعة سقط الزند واللزوميات وقدمهما لنا، كان يسميه أول وأكبر شاعر فيلسوف في تراثنا. وحين جاء عبد الرحمن عزّام وترجم لمحمد إقبال الشاعر الباكستاني وقدّم الكتاب لطه حسين ليكتب المقدمة قال له طه حسين هذا ثاني الشعراء المتفلسفين بعد المعري، فما الذي فعله المعري ليكون أول الفلاسفة؟. ما فعله أنه هجر ما كان سائدا لدى أقرانه من كبار الشعراء حتى في المديح والنسيب والإخوانيات. وكان يرى أن من عمل الشاعر ألّا يروح لخليفة أو أمير وألا يمدح أحداً منهم ليأخذ عطاياه. كان يرى أن الشعر يكون تزييفاً حين يمدح الأمير بما ليس فيه. لذا كان أوّل ما فعله المعري أنه لم يزر أحداً على الإطلاق من الأمراء والخلفاء إنما جلس يفكّر فيما حوله من أحوال البلاد وفي أحواله هو نفسه. كان ضد الولاة وضد الشعراء أنفسهم وكان يقول عن الشعراء (شرارها شعراؤها) وحول الأمراء يقول

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها

وعدوا مصالحها وهم أجراؤها.

فقد كان يتعمق في كل شيء ليدرك سرّه.

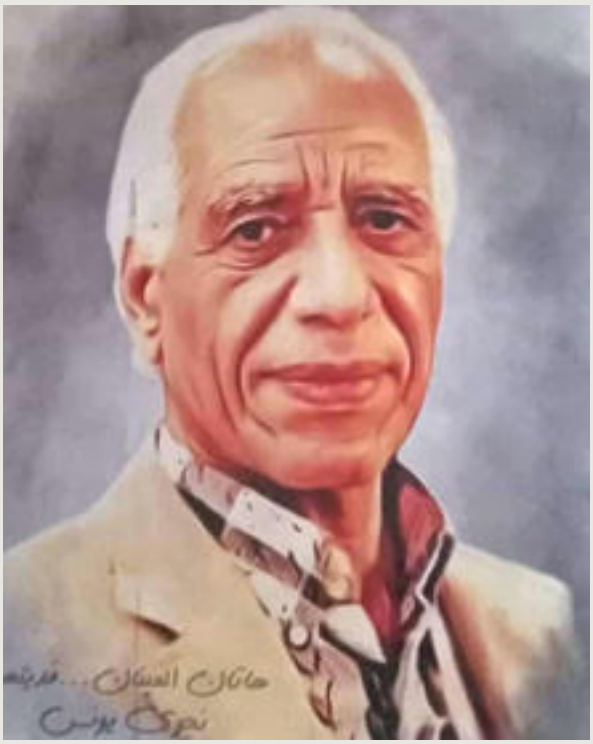

الورود تعني لي الجمال المطلق المتنزه عن الفائدة المباشرة التي تؤتيها الأشجار المثمرة

هناك من يرى دكتور حسن طلب أنك كثير التأثر بأبي العلاء ؟

نعم. أنا متأثر بأبي العلاء المعري فهو قد حفر طريقا للأسف لم يكمله أحد بعده حين أُتّهِم بالإلحاد لأنه جعل للعقل القيمة العليا ورأى أن الإبداع الشعري هو الذي يترجم عن العقل. كان يرفض عبادة الفقهاء ويرى أن السيادة يجب أن تكون للعقل وليس للفقيه. يقول في أبياتٍ له

أجاز الشافعي فعال شيء

وقال أبوحنيفة لايجوزُ

دراستي الفلسفية جعلتني أنظر للرمزية على أنها ليست مجرد مذهب أدبي أتى وراء الرومانسية أو بعدها وإنما هي أيضا رؤية للغة، اللغة بوصفها رموزا وليس بوصفها تسجيلا مباشرا

فضلّ الشيب والشبان منا

ولا اهتدت الفتاة ولا العجوزُ

وحين قال بعض الناس إنني تركت المتنبي واتجهت للمعري قلت لهم لا، فالمتنبي له موهبة عظمى ولكن أكثر من ثلاثة أرباع شعره ضاع في مديح كافور وسيف الدولة وعشرات الأمراء. ألم يقرأوا قوله لكافور الإخشيدى

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله

فإني أغني منذ حين وتشرب.

المعري لا يأخذ فضلة من أحد بينما المتنبي يفعل لذا هو أضاع موهبته.

وأنا استفدت من المعري واستفدت من الصوفيّة وطريقتهم في التعمّق في النصوص والتركيز على حياة الباطن وعدم الخداع بحياة الظاهر وأداءاتها الشكلية

وما هو الدور الذي يمكن أن يلعبه الشعر في هذا الواقع د. حسن ؟

الدور الذي يلعبه الشعر في هذا الواقع هو الدور الذي يبدأ من أصدقائنا المقربين، فعندما يجتمعون على ديوان جديد، والآخرون يجتمعون على رواية جديدة وآخرون يجتمعون على فيلم جديد، هذه الخلايا الصغيرة يمكنها أن تتجمع ما دامت صادقة، وهي خلايا ثورية تحاول أن تلجأ إلى الفن بحثا عن الخلاص من هذا الانهيار، ولكن قد يحتاج الأمر إلى وقت لأنه لابديل سوى ذلك. الصمت ليس هو البديل، والاستجابة للواقع ليست هي البديل، البديل هو كيف تتجمع كل هذه القوى التي تحاول أن تغيّر الواقع وتحاول أن تنظر وتستشرف رؤى جديدة وهي بحاجه لأن تتجمع حتى يصل صوتها، وهذا كما قلت سيأخذ وقتا.

هناك من يقول بتراجع الشعر وتفرقه داخل الأجناس الأخرى ماذا يقول د.حسن ؟

الشعر في رأيي لا يحتاج إلى الطاقة الفنية الموجودة في الفنون الأخرى مثل السرد والرواية والغناء والموسيقى. هو ليس في حاجة لذلك، بل الفنون الأخرى هي التي تحتاج للشعر أكثر. أعني السرد من غير حالة شعرية يكون مجرد ثرثرة، والحالة الشعرية موجودة لدى السارد والموسيقيّ وعلى الشعر أن يعتقد أو يرى تبعا لهذا أنه ليس قائما بفضل ما يستعيره، لكن الفنون هي التي تستعير أكثر منه. جوهر الشعر هو الذي ينتقل للفنون الأخرى، ولذلك عالج بعض الفلاسفة هذا الأمر. ومن بين ترجمات أميرة حلمي مطر هناك مقولة تتناول علاقة الفلسفة بالشعر وتقول بتطابق الفنون وأن الفنون تتلقى من بعضها مثلا الفن التشكيلي يحاول أن يرسم لوحة خالية من الأشكال وتكون هناك حالة شعرية تقوّمها الألوان والخطوط. الشعر يستعير من الفن التشكيلي بهجة الألوان أحيانا وقتامتها أحيانا أخرى. وهذه نظرية ضرورية لخدمة الفنون كلها وليس الشعر فقط، لأن الشعر كما يستعير من بعض الفنون الجديدة هو أيضا يعير هذه الفنون الجديدة وهي تأخذ الحالة الشعرية منه.

أنا لست متشائما من موضوع أن الشعر أصبح قابلا للذوبان. لا خوف على الشعر أبدا.

يقول أدونيس إن تدني الشاعر يقاس بمستوى جمهوره. .لأن الجمهور لايحب إلا السطحيّ والمبتذل والعام ؟

هذه مقولة لا يمكن أن تقبل على إطلاقها، لأنها تكون مرتبطة بسؤال وهو عن أي جمهور نتحدث ؟ عن جمهور في قرية أم عن جمهور في مدينة لا تولي للثقافة أي إهتمام وتعتمد على الإعلام في الشعر. فمن الممكن أن يصدق هذا الكلام في حالات كهذه، حيث يكون الإعلام هو المسيطر وهو المتحكّم في الفن، ولكي ينتشر الشعر الحقيقي لا بد من تثقيف الواقع.

إذن المقولة ليست صحيحة على إطلاقها وإنما هي صحيحة في ظل الخفوت الحضاري والثقافي وتحكم الإعلام بوجهه القبيح ووجهه النفعي في الحياة الثقافية.

كيف تنظر للجوائز العربية ؟

فكرة الجوائز العربية في حدّ ذاتها من الممكن أن تكون إيجابية لو أحسن القائمون عليها توظيفها لتكون لصالح الأدب والفن. ومعنى أن تكافئ مبدعاً لأنه أبدع أمراً يستحق أن نؤيده، ولكن متى نقف ضدها ونتشكك فيها عندما يكون القائمون على هذه الجوائز غير قادرين على أن يوجّهوها للقيمة الحقيقية لمن يستحقها فعلاً فتذهب إلى الأكثر ضجيجا، وإلى الأكثر إلحاحاً وإلى صاحب الإتصالات بلجان التحكيم أكثر من غيره. إذا حدث ذلك فقدت الجوائز قيمتها الإيجابية بل تحولت إلى قيمة سلبية لأنها تكافئ الأقل على حساب الأجدر.

> **استلهم أدونيس من النثر الباريسي مشروعه فحارب من أجل قصيدة النثر**

إلى أي مدى ساهمت المجلات الثقافية والأدبية المتخصصة فى رفد وإثراء الإبداع فى مصر والعالم العربي لا سيما وإنك قد تسلمت قيادة بعضها ؟

حين نتحدث عن تاريخ المجلات الأدبية والثقافية سنحس أنها لعبت دورا مهما من أيام مجلة الرسالة وابولو وأحمد حسن الزيات، هذا دور لايمكن إنكاره. ونحن نستطيع أن نمضي في هذا الطريق ليكون هذا الدور ملموسا في عصر زادت فيه جماهير القرّاء. فعندما جئنا إلى مجلة إبداع خاطبوا أحمد عبد المعطي حجازي ليكون رئيس التحرير وكلمني لأكون نائب رئيس التحرير وكان شرطي الوحيد أنه إذا حدث بيننا اختلاف حول مادة يكون المعوّل على من يقنع الآخر ووافق على هذا وكان أمينا معي في كلامه. وكنت متخوفا من أن أكون مجرد منفّذ لكلام رئيس التحرير. ولكن خوفي لم يكن صحيحاً. وقد أنجزت مجموعة من الأعداد وهو بفرنسا. فحين حدث السطو على الكنائس وقتل بعض المسيحيين أنتجت عدداً بعنوان التراث القبطي تراث لكل المصريين ثم ثلاثة أعداد عن القضية الفلسطينية تتناول ثقافة إسرائيل لكي نعرف من هو عدونا، فالسياسة وحدها لا تكفي. وبعد الألفية رأيت أن المجلة وحدها لا تكفي وفكّرت في إصدار كتيّب نختاره بعناية يوزع مجانا مع المجلة فنجحت الفكرة ووجد الكتيّب رواجا كبيرا بين الناس. وصدرت مختارات من أعمال طه حسين المجهولة ونفدت الطبعة كاملة ثم

أدونيس

أحمد عبد المعطي حجازي

> **يمكن للشاعر أن يكتب قصيدة نثر دون أن يجعل مذهبه ماحيا لكل تجربة أخرى**

كان أن اندهشت من استبعاد جابر عصفور لنازك الملائكة من مهرجان الشعر وهي الرائدة والتي كانت بيننا وكان من المفترض تكريمها بدلا عن إستبعادها فانتصرت لها بأن أصدرت مختارات من شعرها

دكتور حسن هل لك طقوس معينة فى الكتابة ؟

عادة أكتب بالليل، الليل يكثر فيه الهدوء ويغيب الضجيج. أفضّل الوحدة التامة حتى عن أبنائي. ويرافقني أثناء الكتابة فنجان القهوة والسيجار. هذا يكفي. هذه طقوس فقيرة نوعا ما، لكني لا أستطيع من دونها أن أكمل عملا. لا أحب ضجيج النهار.

ماذا عن هموم الكتابة ومرارات الواقع اليومي، هل من قصيدة تراودك الآن ؟

الفلسفة هي علم الوعي الذى لا يقنع بالنظر إلى سطح الأشياء فهو يغوص لكي يعرف حقيقتها، ويبحث عن أعمق ما فيها وأنضر، والشعر يفعل ذلك أيضاً

هي قصيدة بعنوان (مستويات ومعارج). .من القصائد التي تسكن بأعماقي منذ وقت طويل، الآن هي في المسودة الثانية أو الثالثة وليست الأخيرة، والمستويات التي أعنيها هنا هي المستويات الأفقية أما المعارج فهي تشير إلى أعلى. كأني أريد أن أخلص من المستويات إلى المعارج، وهي تأخذ نوعا من التدرج في العناوين تبدأ القصيدة الأولى بعنوان (آتٍ أتاني)). .

المتنبي له موهبة عظمى ولكنه أضاعها!

يبدو أنها من أثر التصوف يا دكتور ؟

نعم أثره كبير عليّ، ويعود إلى من علمونا أو أوجدوا فينا الرغبة في الذهاب إلى العمق الباطن. والإنسان لا يغر بالأداء الشكلي، والطقوس الشكلية. الباطن هو الحيّ. المتصوفة على اختلاف مذاهبهم مثل ابن عربي والحلاج وابن الفارض ووجلال الدين الرومي ومواقفه التي تحتاج إلى حس فلسفي راقٍ لكي يدركها الإنسان بجانب السهروردي إلى آخر السلالة.

ماذ يقرا الدكتور حسن طلب هذه الايام ؟

هذه الأيام شدتني متابعة المأساة، النكبة الثانية التي نعيشها في فلسطين، ونحن نشاهد الأطفال القتلى في كل يوم وكل حين. حاولت أن أرى ما يمكن أن أفعله حيال ما أراه. وهذا أحالني إلى مراجعة الشعر الفلسطيني ليس فقط محمود درويش ولكن كل شعراء فلسطين سميح القاسم وأحمد دحبور وغيرهم. أسعى لأن اقرأ الشعر الفلسطيني على ضوء النكبات التي مرت بالشعراء لأعرف كيف تعاملوا معها.

طيف الخيال

هيَ استهلالةُ الحُلمِ المنَمنَمةُ..
الظلالُ كنايةٌ عن شَمسِها
وتقودُ موكبَها: السُّها
والحادِيانِ:
الأسْودانِ: الليلُ والأَمَةُ
المدَى المغسولُ غايتُها
وآيَتُها: الحقولُ..
ولونُ رايتِها كُميْتٌ
مثلَ أعرافِ الخيولِ..
ترابُ خيمتِها النَّدى
أذْنَى حِماها:
نخلةٌ في الشرقِ تحرسُها السيوفُ..
فُسَيفِساءُ الوجْدِ..
زُخرفُها الشفيفُ..
المسْجدُ الشعبيُّ فنٌّ من عِمارتِها
ثقافتُها:
تُراثٌ غامضٌ
مِمَّا تُرنِّمهُ الطيوفُ
إذا تَراءَى من وراءِ الحُلمِ
معدِنُها اللطيفُ..
شِعارُها: المعنى الوريفُ
ومن عُيونِ قصيدِها:
(مطَرٌ تساقطَ قُربَ رُوحِي..
هزَّ قلبي.. فاهتزَّتْ
اسْتنشَقتْ عيناي ومْضًا
من غُبارِ الضوءِ..
فازْدهرَتْ جُروحي
إنه المطرُ الذي:
يُوحَى إليَّ بِهِ.. ويُوحِي)..
من شمائِلها:
عناقُ حبيبِها النَّائِي
بقدٍّ خفَّ.. فاسْتخْفَى
ومن أسمائِها: زُلفَى
جميعُ الزُّلفَياتِ..
يفِدْنَ نحو خِبائِها
مائةً.. فَألْفَا

د. حسن طلب

ملف العدد

السيرة الذاتية والأنواع المجاورة

وضع اليوميـات في المُدوَّنـاتِ العربيَّـةِ

د. محمد الداهي

ناقد وباحث في السيميائيات الذاتية

جامعة محمد الخامس

المملكة المغربية

اهتم العرب القدامى بالتراجم (السير) وبالسيِّرِ الذاتية الفكرية، وانفتحوا حديثا على باقي مكونات الأدب الشخصي؛ وفي مقدمتها اليوميات الخاصة. وهم بذلك لا يقلون نبوغا عن أندادهم في المعمورة بإنتاج أدب غزير ومتنوع يستوعب مختلف أصناف الكتابة عن الذات، ويستدعي من النقاد والباحثين الاهتمام بها لتصنيفها وتجنيسها وتعرُّف محتوياتها.

تشغل اليوميات الخاصة حيزا هاما في الأدب الشخصي العربي بحكم وفرتها في مختلف الأقطار العربية، وانتظام صدورها. ولهذا الغرض ارتأيتُ أن أعرّف بجانب منها (المدونات الشخصية) لاستجلاء مميزاته ورهاناته ووظائفه في سياق الثورة التكنولوجية الحديثة، من جهة، وإبراز طريقة تفاعل العرب معه والاهتمام به انسجاما مع النقلة النوعية من الإبدال الورقي إلى الإبدال الرقمي، من جهة ثانية.

لا يسعني- في البداية- إلا أن أبدي الملاحظات الآتية:

أ. تَعَرَّفَ النقادُ العربُ الدراساتِ الغربيَّةَ التي اعتنت باليوميات الخاصة تنظيرا وتطبيقا، ورقيا ورقميا. ومن ضمنها كتابان هامان: أولهما (اليوميات الخاصة) لبياتريس ديدي(1)، وثانيتهما (عزيزتي الشاشة...اليوميات الشخصية والحاسوب والانترنيت) لفيليب لوجون(2).

تعد بياتريس ديدي اليوميات الخاصة فنا قديما، لكنه ازدهر خصوصا في القرن التاسع عشر بفضل عناية صغار النبلاء والبورجوازيين بتدوين يومياتهم، وعدم تمزيقها وإتلافها. ومن بين السمات التي تميز - في نظرها- اليوميات عن باقي أشكال الكتابة عن الذات أنها تنزع أكثر إلى الحرية (قول أي شكل في قالب مناسب مع الاحتراز من الجانب الأخلاقي)، والمداومة (ممارسة التمرين الكتابي بانتظام)، والتطابق (التطابق التام بين القصة والخطاب)، والتشذير (سرد الأحداث مُجزَّأةً، ومُؤرَّخةً، ومتفاوتةً في زمنها)، والرتابة (رتابة الحياة نفسها). كرست

1 Béatrice Didier, Le journal intime, PUF, Littérature moderne,1976.

2 Philippe Lejeune, (Cher Ecran...) Journal personnel, ordinateur, Internet, Seuil, Seuil, 2000.

باتريس ديديي الفصل الأخير (اليوميات بصفتها عملا أدبيا: البنى والأشكال) (3) لاستخلاص المقومات الأساسية لليوميات وثوابتها؛ وجملتها: التركيز على ضمير المتكلم دون إغفال المخاطب المفترض، الاهتمام بالحياة الخاصة أكثر من الحياة الخارجية، سرد أحداث متشظية ومقتضبة ومتكررة، بطء الإيقاع ورتابة الأسلوب، ابتكار الذات وإعادة النظر في كنهها، تنوع الأشكال (يوميات الاستطلاع، يوميات الاستبطان، يوميات الترسل) (4).

يعد كتاب فيليب لوجون مصدرا أساسيا لرصد حركية اليوميات الخاصة باعتماد الوسائط الجديدة للتواصل، وتبيُّن مميزاتها وخصائصها في إطار ما يصطلح عليه بـ) الكتابة اليومية السيبرانية Cyberdiarisme). ولهذا الغرض ارتأى أن يوجه نداء إلى المدونين عام 1998 لموافاته بيومياتهم الخاصة وبانطباعاتهم من تجاربهم في الحياة، وأن يواكب بانتظام إسهاماتهم على الخط سعيا إلى دراستها، وبيان مميزاتها.

اعترف بأنه (رجعي) لأنه ما فتئ مشدودا إلى الآلة الكاتبة والإبدال الورقي، و(يريد أن يعرف ما إن كان الحاسوب دفترا رديئا أو جيدا؟ ويريد أيضا أن يعرف هل هو شيء آخر غير الدفتر؟) (5). ما استرعى انتباهه هو أن النص في الدفتر يخضع إلى التسويد والتعديل والتنقيح إلى أن يستوي في هيئته النهائية، في حين يكون النص الرقمي تلقائيا ونهائيا لنقل ما يشعر به صاحبه دون ارتياب أو تردد، وتلقي ردود الآخرين عليه فورا. علاوة على ذلك قد تثير الغُفليَّة شكوك القارئ في تعامله مع الدفتر، وتعزز "علاقته الحميمة) مع الحاسوب إلى أن يستطيب رفقته.

ب. لا تتطلب الكتابة الورقية من صاحبها إلا الجرأة على استجماع خيوط تجاربه الشخصية، والتوفر على الدعامات والأدوات الأساسية (على نحو الورق والقلم)، في حين تستلزم الكتابة الرقمية اعتماد الكاتب (بمعنى كل من يكتب على وجه الإطلاق) وسائل ومعدات مكلفة، وتحسين قدراته على استخدام الحاسوب، وإتقان المعالجة النصية، وإعداد مدونات ومواقع الكترونية. فهذه الأسباب- وغيرها- تضفي صفة النخبوية على التدوين الرقمي، وتجعله مقصورا على فئة من المهرة والحاذقين الذين يتفاعلون إيجابيا مع (الوسائط المتفاعلة)؛ وهذا ما قد يؤثر سلبا في دَمقْرطة الكتابة عن الذات على الانترنيت، وتوسيع قاعدتها الجماهيرية لولوج الثقافة ومجتمع المعرفة.

ج. رغم وفرة اليوميات الخاصة في العام العربي، لم تحظ إلا بدراسات قليلة. أذكر منها ما أنجزتُه شخصيا (6) في تساوق مع مبادرات جليلة الطريط(7) وكمال الرياحي (8)، وخاصة مع جهود نجوى العمامي التي تخصصت في دراسة اليوميات بإعداد كتابين إلى حد الآن؛ وهما: (قراءة نقدية في يوميات أبي القاسم الشابي)(9)، و (اليوميات الخاصة في الأدب العربي)(10).

سعت -في كتابها الأخير)- إلى تسليط مزيد من الأضواء والتوضيحات على مصطلح (اليوميات الخاصة) في الثقافتين الغربية والعربية، وإبراز نشأة هذا الجنس الأدبي وتطوره في العالم العربي، وبيان أنواعه وأشكاله ومواضيعه وطرائق تعامله مع الزمن. وقسمته إلى فئتين: يوميات داخلية (التركيز على ما يهم حال الذات وطويتها) ويوميات خارجية (الاعتناء بشواغل

3 Béatrice Didier, Le journal intime ,op.cit.,p.p.138.

4 فيما يخص هذه النقطة ينظر المصدر نفسه، 187-193.

5 Philippe Lejeune, (Cher Ecran...) Journal personnel, ordinateur, Internet, op.cit.,p.17.

6 انظر فصل (ظلال الذات)، متعة الإخفاق، المركز الثقافي للكتاب، ط1، 2021.

7 فضلا عن تخصصها في السيرة الذاتية، ترجمت كتاب: اليوميات الخاصة، بيارتيس ديدي، معهد تونس للترجمة، ط1، 2021.

8 فضلا عن تخصص كمال الرياحي في السيرة الذاتية كرس اهتمامه لليوميات العربية. ومن بين مقالاته في هذا الصدد: (تلقي فن اليوميات)، الضفة الثالثة، 2017.

9 دار نقوش عربية، تونس، ط1، 2021.

10 در خريف للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2024.

الحياة ومستجداتها)، عللت تداخلهما وتشابكهما بقولها: (فالأهم هو أن تكون ذاته (الكاتب) محور الكتابة؛ إذ أنه ليس للآخرين، ولا للمجتمع وجود محض خارج الذات بشواغلها وأحاسيسها وأفكارها.. فكل شيء خارجي يدور في فلك ما هو داخلي)(11).

1. مكونات المتن

استخدمتُ قبل عقدين من الزمن عيِّنةً من المحركات للحصول على كتابات رقمية عربية عن الذات، لكن محاولاتي باءت بالفشل. مع العلم أنه - في هذه الفترة- انتعشت الكتابة الرقمية عن الذات في مختلف اللغات الأجنبية، وظهرت إلى الوجود جمعيات على الخط (On line) لتشجيع المتلقين على إنشاء مواقعهم الخاصة، وحفْزهم على الكتابة عن ذواتهم، وتقاسم تجاربهم الشخصية مع غيرهم شريطة الالتزام بأخلاقيات النشر المنصوص عليها؛ وفي مقدمتها تفادي التحريض على الكراهية والعنف والميز العنصري.

عندما عاودت الكرة منذ أربع سنوات، اهتديت إلى عدد محدود من الكتابات الرقمية العربية عن الذات. وهو-من جهة- أمر مفرح مقارنة مع الوضع السابق الذي كان فيه الانترنيت خلوا من نصوص عربية من هذا النوع. وهو-من جهة ثانية- أمر مؤسف لأن تمثيلية هذه النصوص ضعيفة جدا مقارنة مع مثيلاتها المكتوبة باللغات الأجنبية (12).

عنوان المحكي الذاتي	المُدوِّن (ة)	البلد	الموقع
كيف لا أتحول إلى مخلوق رقمي	ليلى النيهوم	ليبيا	Afaitouri.maktoobblog.com
يوميات	جمعة بوكليب	ليبيا	Afaitouri.maktoobblog.com
من أيامي مع مليكة	عايدة نصر الله	فلسطين	Alfawanis.com
في طريق العودة	عايدة نصر الله	فلسطين	Alfawanis.com
يوميات	فضيلة الفاروق	الجزائر	Afaitouri.maktoobblog.com
في الطريق إلى مدينة البترول سيدي قاسم.	ميلود عثماني	المغرب	Atmanimiloud.blogspirit.com
سيرة حياتية	سولارا الصباح	كينيا	Alhijawi.com /baiogwingss.html
سيرة حياتية	باسم الهيجاوي	فلسطين	Alhijawi.com /baiogwingss.html

11 المصدر نفسه، ص.176.

12 توجد كثير من المجموعات الافتراضية التي تعنى باليوميات، ونذكر منها ما يلي:

* باللغة الفرنسية: مجموعة الكتابة الافتراضية (www.lacev.com)، ودائرة الأيام المكتوبة والمصورة (www.cercle.qc.ca)،مجتمع كتاب اليوميات الافتراضيين(www.arobas.net).

*باللغة الإنجليزية: سجل اليوميات (www.diarist.net/registry) واليوميات المفتوحة (www.opendiary.com).

*باللغة الإيطالية: www.jmag.mongolo.org

*باللغة السويدية: يوميات على اللوحة (www.aiger.pp.se/reload/start.html) واليوميات المباشرة (dagbok.webhostme.com).

كما توجد كثير من المواقع والمدونات باللغات الأجنبية التي تُعنى بنشر اليوميات المباشرة (يوميات على الخط). وفي هذا الصدد، ذكر فيليب لوجون في موقعه أن عدد المواقع السويدية- التي كانت تهتم بهذا اللون من الكتابة الرقمية – وصل إلى الأوج عام 1999 (250 موقع)، وتراجع عام 2007 إلى 203 موقع بسبب الاستغناء عن كثير من المواقع. انظر في هذا الصدد: www.autopacte.org

تعد بياتريس ديديي اليوميات الخاصة فنا قديما، لكنه ازدهر خصوصا في القرن التاسع عشر بفضل عناية صغار النبلاء والبورجوازيين بتدوين يومياتهم، وعدم تمزيقها وإتلافها

عـاودت البحـث مؤخـرا عـن مدونـات جديـدة، فاهتديـت إلـى منصـة الفهرسـت (13) التـي تُعنـى بالتدويـن الشـخصي، وتفهـرس (بحسـب مـا يوحـي بـه عنوانهـا) - فـي قاعـدة البيانـات- مئـات المدونـات العربيـة وتتفقـد بانتظـام ملـف الخلاصـات (14) لجلـب المحتويـات الحديثـة التـي يربـو عددهـا علـى أربـع مئـة مدونـة، وعرضهـا فـي الصفحـة الرئيسـية. انتهـى البـث التجريبـي للمنصـة إلـى الإخفـاق لصعوبـة اسـتحداث المجتمـع الافتراضـي للمـدونين، ولقلـة الإمكانـات لتحقيـق الغايـات المنشـودة بالأسـلوب المعتمـد.) كان جليّـا خلال هـذا العـام أن خلـق مجتمـع افتراضـي للمـدونين هـو مهمـة غير متأتيـة التحقيـق بالأسـلوب الـذي كنـا نُفكّـر بـه. إن خلـق مجتمـعٍ افتراضـي لا يمكـن أن يتـم بمحـض الصدفـة، دون جهـود حثيثـة ومكرسـة لتحقيـق هـذا الهـدف، وهـو أمـر كان خـارج نطـاق إمكانياتنـا)(15). رغـم قصـر مـدة اسـتحداث المنصـة (فـي بدايـة أبريـل 2020)، اسـتطاع صاحبهـا ومنسـقها طريـف منـدو أن يوفـر فـي قاعـدة البيانـات 437 مدونـة مرتبـة كمـا يلـي: المملكـة العربيـة السـعودية (214)، مصـر (44)، سـوريا(43)،الجزائر(25)، الأردن (18)، فلسـطين (18)، اليمـن (13)، الكويـت (11)، السـودان (9)، المغـرب (8)، عمـان(6)، ليبيـا(6)، لبنـان(5)، العـراق (5)، الإمـارات العربيـة (4)، قطـر(3)، موريتانيـا (2)، تونـس(2)، إرتريـا(1)، ويبلـغ العـدد الإجمالـي للمحتويـات المؤرشـفة 52 ألـف تدوينـة.

صـاغ طريـف منـدو الأرضيـة (سلسـة التدويـن 101) لحفْـز المـدونين العـرب علـى احتـرام مقتضياتهـا إن ارتـأوا ضـم مدوناتهـم إلـى قاعـدة البيانـات، وتَعهَّـدَ بالمقابـل بضمـان حقوقهـم الفكريـة (حقـوق التدوينـات محفوظـة لأصحابهـا). تُـختزل المقتضيـات فيمـا يلـي: حقائـق وآراء (مـا تعلمـه المـدون فـي المدرسـة، ومـا اسـتوعبه مـن الموسـوعات الثقافيـة)، والخبـرة الحيـة (زيـارة المبحريـن المدونـات والتعليـق عليهـا دون رياء أو مجاملـة)، وتكويـن الـرأي (التحلـي بمهـارة الفهـم والحكـم، واحتـرام الـرأي الآخـر)، والتجـارب المسـتمرة (تدويـن التجـارب اليوميـة التـي تسـتحق التوثيـق لمـا لهـا مـن أهميـة فـي التفريـج عـن النفـس، وإفـادة المتلقـي)، والخبـرة الضائعـة (كثيـرا مـا يهمـل توثيـق التجـارب الشـخصية رغـم أهميتهـا فـي إفـادة المتلقـي بتجـارب الحيـاة وخبراتهـا).

خصصـتُ وقتـا للاطـلاع علـى مجمـل محتويـات المدونـات، فلاحظـت أن أغلبهـا مخصـص للمعلومـات العامـة والمفرقـة شـذر مـذر، وأن بعضهـا يُغلِّـبُ المواضيـع العامـة علـى التجـارب الشـخصية التـي لا تمثـل إلا نسـبة ضعيفـة مـن مجمـل المحتويـات، فـي حيـن أن عينـة محـدودة (3) مخصصـة لليوميـات ومكتوبـة بلغـة عربيـة سلسـلة تنـم عـن المسـتوى الثقافـي لأصحابهـا؛ وهـي كمـا يلـي:

أ. تُعنـى مدونـة (لافنـدور) لأسـماء بنـت حسـين (16) بتدويـن رتابـة الحيـاة اليوميـة بطريقـة موجـزة ومتشـذرة. تـدور تدويناتهـا (185 تدوينـة) حـول مـا تقـوم بـه المدونـة كل صبـاح بعـد اسـتيقاظها مـن النـوم باكـرا وهـي تسـتحضر مـا يجـري فـي بيتهـا (الانطباعـات الشـخصية، وجبـات الأكل، ارتشـاف الشـاي) ومـا يقـع خارجـه (هطـول المطـر،

13 -https://elfehrest.com

14 (تختصر عبارة Really Simple Syndication في الأحرف الآتيةRSS، ويعنى بها (خلاصات بسيطة جدًا)، يشار إليها في العربية عادةً بـ (الخلاصات)، التي تعد تقنية تُمكّن المستخدم من الاشتراك بتحديث المواقع، وهذا ما يسمح له على سبيل المثال أن يتابع مواقع عديدة من مكانٍ واحد بدل اضطراره لزيارة كل واحدٍ منها على حدة للتأكد ما إن كان هناك شيءٌ جديد قد نُشر.

وهي تقوم على الطرفين الآتيين:

-الطرف الأوّل هو موقع الويب الذي يزار باستمرار. قد يكون صحيفة إخبارية أو مدونة شخصيّة. ينبغي أن يكون الموقع داعمًا لتقنية الخلاصات بإرشاد المتلقي إلى الرابط. على سبيل المثال تدعم مدوّنة الفهرست تقنية الخلاصات على الرابط التالي: https://elfehrest.com/blog/rss.xml

الطرف الثاني هو المستخدم الذي يرغب في الاشتراك لمتابعة مواقع في موقع واحد؛ ولذا فهو يحتاج إلى برنامج يُدعى (قارئ الخلاصات)، يُزوّده بروابط الخلاصات للمواقع المُفضّلة، ثم يُصبح بإمكانه تلقي أخبار المواقع جميعها دون الحاجة إلى زيارتها على روابطها. بعض المواقع تُرسل -في خلاصاتها -عنوان المقال، وبالضغط عليه يمكن زيارة الصفحة الأصلية؛ بينما تُرسل بعضها الآخر نصّ المقال كاملًا). الموقع نفسه بتصرف في التعبير:

https://elfehrest.com/info/rss

15 المنصة نفسها، ركن (انتهاء البث التجريبي لمجتمع الفهرست).

16 https://lavender2001.wordpress.com

فيليب لوجون

بياتريس ديدي

توالي الفصول الأربعة، تطور المُنتجات الذكية)، وتعبر عن الأحاسيس التي تغمرها باستئناف التدوين (التعب، وكره التأجيل، والشعور بالإحباط من كثرة شواغل الحياة وصروفها، ومناجاة النفس).

ب. تضم مدونة (مكانا قصيا)(17) لمشاعل مزراشي 137 يومية خاصة، تدور معظمها حول سبر أغوار الذات سعيا إلى فهم ما يجول ويتردد فيها. ومع ذلك شعرت بإحباط لصعوبة الرهان بدعوى أن ذاتها (غير مفهومة) و) غامضة) وبوجود حائط يحول دون النفاذ إليها. وأنا هنا لا أتحدث عن مشاعل وحدها، ما يدهشني أني أعي جيدًا تبعات الظروف، لكن تأتي لحظة يغدو فيها هذا الفهم وكأنه حائط يعوق الوصول، فتحدث انتكاسة جديدة! نحن نفهم لكننا في المقابل نريد!)(18). من ثم، نفهم سبب تسمية مدونتها بـ "المكان القصي) لصعوبة استيضاح ذاتها وفهمهما، وتعمق الفجوة بينها وطويتها.

كانت مشاعل في سن الفتوة تمزق ما تخربشه من يوميات. لكنها ارتأت - بمرور الوقت- أن تحتفظ به معتبرة قرار التدوين من أفضل القرارات التي اتخذتها في حياتها، ومعتزة بأدائها (اضطلعت خلال أربع سنوات من إنجاز 318 منشورا و9 مسودات). لا تكتفي بسرد تجاربها في الحياة، بل تضمن -في يومياتها- ردود المتلقي ورسائله التي تتوصل بها على حسابها في (تويتر) لإبداء رأيها منها.

تورد أيضا في يومياتها مراجعات الكتب التي قرأتها مبدية انطباعاتها الشخصية من محتوياتها؛ ومن ضمنها نذكر على سبيل المثال: (الطاعون) لألبير كامو (ترجمته إلى اللغة العربية يارا شعاع)، و)قراءات من أجل النسيان) لعبد السلام بنعبد العالي، و) تحفة زهران) لمحسن الرملي. وخصصتْ أيضا حيزا لسرد حصيلة السنتين الميلاديتين المنصرمتين (2020 و2021) مركزة على ما عاشه العالم من إحباطات وصراعات وفواجع، ومبينة ما راكمته من تجارب هامة في الحياة إلى أن أحرزت على الإجازة في قسم الفيزياء بجدة، ثم اضطرت إلى السفر وحدها لحضور حفل التخرج في مدينة الرياض.

> **يعد كتاب فيليب لوجون مصدرا أساسيا لرصد حركية اليوميات الخاصة باعتماد الوسائط الجديدة للتواصل**

ج. تحتوي مدونة (هلوسة ذاتية) لعلي الأعرج (19) على 136 تدوينة موزعة على مجالات متعددة (اليوميات، الخواطر، مراجعة الكتب والأفلام، الترجمات)، ومواضيع مختلفة اعتاد المدونون معالجتها بأسلوب ساخر ونبرة متشائمة من جراء استقواء نظام التفاهة في العالم، وارتداد القيم الإنسانية والفنية الراقية إلى الدرك الأسفل. يواكب علي الأعرج- في يومياته- ما يحدث في العالم من فواجع وتراجعات (الزلزال الذي حدث في تركيا وسوريا مخلفا أضرارا بشرية ومادية، استفحال ظاهرة أشباه المحللين أو خبراء (الفوضى التفسيرية)، تهافت الناس على (تيك توك) للحصول على المال بعروض تافهة، ويحرص على اتخاذ المسافة حيال الواقع المنحط بسبب ميل الناس إلى الأمور التافهة والمرفهة، وإعراضهم عن كل ما هو جدي ومفيد. (كنت دائماً مدرك في العمق ومنذ زمن طويل بأنّ هذا العالم ليس لي، ولا أستطيع فعلياً مجاراته أو العيش فيه أو التحوّل إلى ما هو عليه؛ إني شخص بمنظور هذا العالم لست ديناميكي أبداً، وربما أكون متحجّراً في نزوعي نحو بعض التفاصيل المبهمة في أخلاقيات العالم الحديث، فحتى لو أردت الانخراط فيه، لا أستطيع، لأنه أكثر انحطاطاً مما أتخيّل. انحطاط هذا العالم يفوق قدرة خيالي الشخصي.)(20).

17 https://mashaelmajrashi.com

18 مقتطف من يومية (فبرايريات 23: لا بأس) ، المنصة نفسها.

19 https://aile1981.wordpress.com

20 مقتطف من يومية (عروش الغباء)، المنصة نفسها.

خاتمة:

مما تقدم نخلص إلى ما يلي:

أ. ما فتئت المحكيات الذاتية الرقمية العربية قليلة مقارنة مع مثيلاتها الغربية، ومتواضعة تقنيا وجماليا. فهي لا تتوفر على الترابطات النصية الكفيلة بإضاءاتها من زوايا متعددة وبنصوص متنوعة، وبتقديم تفسيرات وتوضيحات حول بعض القضايا المثارة أو العينات السيرذاتية. كما أنها تفتقر إلى الوسائط المتعددة المتطورة التي يمكن تضفي الحركية عليها، وتسعف على تحيين لقطات أو مقتطفات من الحياة المعتادة بمهنية عالية (فيديو، وصور متحركة، والصوت..). علاوة على ذلك، قلما تستثمر هذه المحكيات البعد التفاعلي الذي يمكن أن يعزز التواصل بين الكاتب وقرّائه الافتراضيين، ويرتقي بالنقاش إلى مستوى معالجة القضايا الفنية والجمالية والتقنية، عوض أن يظل محصورا في تبادل عبارات الإطراء والمجاملة.

ب. رغم انحسار عدد الكتّاب العرب المهتمين بالمدونات الموضوعاتية المتعلقة بالمحكي الذاتي، فإنهم- على قلتهم- يشكّلون مجموعة افتراضية (communauté virtuelle) تجمعهم بعض المواقع (مثل موقع دروب و ميدوزا والحوار المتمدن وكيكا والكتابة والرواية) أو المدونات (مثل مدونة عثماني، وشبايك، وسحر الكلمات، ونبضات، وامرأة في منفى) لتبادل وجهات نظرهم من مختلف القضايا السياسية والثقافية والفنية، ومواساة بعضهم البعض لما يتعرض أحدهم لمكروه (على نحو لما رزؤوا بفقدان القاصة مليكة مستظرف والناقد العربي الذهبي)، ومؤازرة كل من يتعرض للحيف والجور والتهميش والإقصاء والإبعاد.والحال هكذا، أصبح الانترنيت يشكل لهم (شرنقة) تقيهم من بطش عالم ما فتئ يزداد عنفا وكراهية وعدوانية، وتعزز وجودهم ونفوذهم داخل مختلف) قبائل شبكة الإنترنيت)(tribus de net Les) دفاعا عن حرية التعبير، وانخراطا في المشروعات الجماعية الموسومة بالتشارك والتفاعل، واستنكارا لمختلف أشكال الرقابة والامتثالية والحَجْر.

> **خصصتُ وقتا للاطلاع على مجمل محتويات المدونات، فلاحظت أن أغلبها مخصص للمعلومات العامة والمفرقة**

ج. عرفت السنوات الأخيرة هجرة افتراضية عارمة ولا مثيل لها إلى مواقع التواصل الاجتماعي، وفي مقدمتها فايسبوك وتويتر. ارتفعت نسبة (الحسابات الشخصية) التي يعتني أصحابها بنقل تجاربهم اليومية في الحياة ومكاشفة الأصدقاء المفترضين بما يقع لهم تباعا. وهكذا انتعشت المحكيات الذاتية مرفقة بالصور والأشرطة لتأكيد (واقعية) ما حدث أو الإيهام به (ها أنا آكل في مطعم كذا، ها أنا في رحلة إلى باريس بالطائرة، ها أنا أقضي العطلة الصيفية في منتجع جبلي. .) إلى درجة الابتذال أو (استبداد الشفافية) مما ينذر بانحسار الحميمي وبتوطد التصنع الذي يأخذ أبعادا متعددة بإعادة إخراج الخصوصي وتأطيره. ولكل مدون أهدافه الخاصة من مكاشفة الآخرين بحياته الخاصة، ومن جملتها نذكر التسويق الذاتي الذي تتحول بمقتضاه الذات إلى علامة تجارية قابلة للتداول في السوق أو إلى أيقونة تستدعي الاحتفاء بها والتزلف إليها. (يتحول السيلفي إلى ألوهية جديدة يجب عبادتها بكل ثمن باسم الاستهلاك)(21). وفي كل الأحوال تسعى الذات الافتراضية والهجينة والمصطنعة - التي تدخل في صراع وتوتر مع الذات الحقيقية- إلى اختلاق حدث أو تصيّده للتأثير على الآخرين، وكسب مودتهم، وحفزهم على التفكير في (عقد اجتماعي جديد)(22).

---

21 إلزا غودار، انأ أوسيلفي إذن أنا موجود، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي للكتاب، ط1، 2019، ص68.

22 ترى المؤلفة أن الإنسانية تنزع إلى التغاير(alterisme) الذي يستدعي ، وإن تغير العالم، أن تستمر الحياة بشكل جماعي، ويتقاسم البشر قيما جديدة مشتركة تؤهلهم إلى التغلب على جميع المصاعب التي تنغص عيشهم. انظر المرجع نفسه، ص189.

المدرسة النّسويّة العالمة في عصر النّهضة العربيّة الحديثة

د. جليلة الطريطر
أستاذة تعليم عال بجامعة تونس

انطلقت المعركة النّضاليّة النّسائيّة/ النسويّة العربيّة على يد الأديبة المصريّة عائشة تيمور

لقد أعادت قدريّة حسين في مؤلفها (شهيرات النساء في العالم الإسلاميّ) كتابة تاريخ شجرة الدرّ مبرزة من هذا المنظور النقديّ أهليّتها السياسيّة وحكمتها في إدارة مقاليد حكمها

سؤال النّهضة كان منذ بدايات القرن التّاسع عشر سؤالا تنويريّا شمل كلّ مجالات الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والثّقافيّة، هذا السؤال كان نقدياً بامتياز، لأنّه قارن بين زمن مشرقيّ كان متكلّسا ومشدودا إلى قيم ماضويّة مهترئة، وزمن أوربيّ حداثيّ كان يطرح تحدّيات قيميّة ومعرفيّة وتكنولوجيّة غير مسبوقة، إن لم نقل جارفة! ولأنّ المرأة كانت في المنظومة الاجتماعيّة القروسطيّة العربيّة كائنا غير متمتّع بالتعليم يعيش بالتبعيّة، فهي لم تكن مؤهّلة لاكتساب التميّز المعرفيّ، ومستبعدة من المرئيّة الاجتماعيّة، لذلك ليس من المنتظر منها أن تكون فاعلة ثقافيّة في مثل ذلك المنعرج الحضاري الحاسم.

لقد كان الرجل هو المعنيّ الأوّل (طبيعيّا) واجتماعيّا بتغيير العالم ورسم مسارات التّحوّل فيه، وكانت المرأة موضوعا في هذه المسارات. ولم تكن هذه الوضعيّة عرضيّة أو حادثة، بل هي في واقع الأمر وضعيّة نوعيّة مشتركة إنسانيّا، لأنّ المجتمعات الأبويّة مجتمعات مبنينة جندريّا، فالأدوار الاجتماعيّة المسندة للرجل غيرها المسندة للمرأة، فضلا عن كونها تعكس تراتبيّة تفاضليّة ذكوريّة مؤسسة لبنية الهيمنة الذكوريّة – طبيعيّا واجتماعيّا-ومشرّعة لها في آن. ولا أدلّ على ذلك ممّا آل إليه مصير الفرنسيّة أولمب دو غوج Olympe de Gouges (1748-1793) الّتي لقيت حتفها وأعدمت إثر كتابتها لإعلان حقوق المرأة والمواطنة (1791) بالتّوازي مع إعلان الثورة الفرنسيّة لحقوق الرّجل المواطن. هذه الحادثة التّاريخيّة تدلّ على أنّ الرّجل – حتّى في سياق التّنوير- كان يحتكر زعامة حركة التّاريخ، وكان هو كاتب هذه الحركة، أمّا دور المرأة فمستبعد من هذه الدائرة مخضع لمقتضيات هويّة الجندر الّتي تحدّد مجال حياة النساء بالبيت الأسريّ الّذي يمارسن فيه دور الأمّ والمربيّة والزوجة ربّة البيت القائمة على مختلف شؤونه. كلّ ذلك يدعونا إلى التّساؤل عن حقيقة الوضعيّة التّاريخيّة للمرأة العربيّة في عصر النّهضة بداية من أواخر القرن التّاسع عشر وبدايات العشرين، وهي الفترة الّتي بدأ فيها سؤال تحرير المرأة العربيّة يتبلور رسميّا في الثّقافة العربيّة، خاصّة عن طريق مؤلّفات المصلح التنويري قاسم أمين (1863-1908) متمثّلة في كتابيه المثيرين للجدل، (تحرير المرأة) (1899) و(المرأة الجديدة) (1900).

المرأة العربيّة الكاتبة حجبت في تاريخ الأفكار الرسميّ

إنّ طرح قاسم أمين لقضيّة تحرير المرأة المصريّة بشكل خاصّ والعربيّة على نحو أعمّ اعتبر في تاريخ الأفكار في الثّقافة العربيّة لحظة تحوّل حاسمة في تاريخ المرأة الحديث من زاوية إصلاحيّة تنويريّة كان أعلامها يخطّطون لمنعرج الحداثة العربيّة في مختلف المجالات السياسيّة والاجتماعيّة والمعرفيّة متّخذين مسافة ايديولوجيّة نقديّة من التّراث الّذي كان يتمسّك به المحافظون في مواجهة ما يعتبرونه تغريبا استعماريّا. هذا سؤال كان يطرح خلال الفترة المذكورة باعتباره جزءا لا يتجزّأ من المشروع التنويريّ الإصلاحيّ العامّ، وكان يناقش في إطار

مناخ سجاليّ متوتّر جدّا تصارعت فيه قوى المحافظة مع قوى التّنوير من أجل كسب رهان السّلطة والسّيطرة الايديولوجيّة على تحدّيات الواقع التّاريخيّ المطروحة. وإنّنا لواجدون إلى اليوم في تاريخ الأفكار آثار هذا الصراع الّذي كانت المرأة العربيّة تتّخذ فيه موضوعا دقيقا وحسّاسا، لأنّ كلّ تغيير في أوضاع النّساء كان يعني بداهة وضع بنية الهيمنة الذكوريّة، وهرميّة هويّة الجندر -الذكوريّة والأنثويّة- موضع خلخلة تؤدّي إلى تقويض قواعد بنية المجتمع الأبويّ المتأصّلة في التّاريخ.

لذا يجدر بنا في هذا السّياق الحضاريّ الدقيق التّساؤل عن صوت المرأة وموقفها من قضيّتها، لأنّ تحرير المرأة لا بدّ من أن يكون في واقع الأمر قضيّة المرأة الشّخصيّة والإنسانيّة قبل أن تكون مسألة إصلاحيّة حضاريّة في المقام الأوّل. فهل كانت المرأة العربيّة فعلا مجرّد

> **كانت ملك حفني ناصف ومي زيادة صديقتين تجمع بينهما مودّة صادقة وروح متحفّزة لحبّ المعرفة والمطالبة بحقوق النّساء**

موضوع في صراع حضاريّ ذكوريّ مطوّقة بكفالة الرّجل مهما كان توجّهه الايديولوجيّ، أم أنّ هذه المرأة كان لها حضور ودور ريادي في تحرير نفسها من الوصاية الذكوريّة أوّلا ومن تبعاتها الاستعباديّة والتميزيّة ثانيا؟

هذا هو السؤال الّذي بدا لنا مغيّبا - إلى وقت قريب جدّا- في تاريخ الأفكار في الثّقافة العربيّة الحديثة، فكلّ ما كتب في هذا الشأن لا يعدو أن يكون سوى استحضار عرضيّ لبعض الأسماء النّسائيّة الّتي كان لها قلم استطاع أن يخترق الجدل العامّ، وخاصّة الاجتماعيّ منه أو الأدبيّ في عصر النّهضة، ويكفي أن نستحضر في الحالتين ملك حفني ناصف (1886-1918) الّتي عرفت بباحثة البادية، ومي زيادة (1886-1941) لنثبت ذلك. لقد كانتا صديقتين تجمع بينهما مودّة صادقة وروح متحفّزة لحبّ المعرفة والمطالبة بحقوق النّساء، ولكنّ اعتراف الجماعة الذكورية العالمة بهما لم يكن ليرقى إلى مستوى الاعتراف بالمرأة عالمة وندّا للرجل العالم، فباحثة البادية كانت لا تضيع أيّ فرصة تسنح لقلمها بانتقاد الوصاية الذكوريّة والاستعلاء الذكوريّ الفعليّ والرّمزي، ومع ذلك أصرّ معاصروها بعد وفاتها على القول بأنّهم لا يشيّعونها إلى مثواها الأخير كامرأة عظيمة، بل كأحد الرجال العظماء! أمّا مي زيادة فقصّة صالونها تدلّ على أنّ مي الأنثى الجذّابة المتحرّرة كانت قطب الرحى في الشّهرة الّتي نالتها، ولم يكن الالتفات إلى إضافاتها الأدبيّة والنّقديّة في حجم الاهتمام بجمالها وأناقتها! وهو ما يدلّ على أنّ المرأة كاتبة ومبدعة كانت تتحرّك داخل سياق ذكوريّ إمّا يشيد بعبقريّتها الاستثنائيّة من خلال انتزاعها من الجنس الأنثوي، او يقلّل من تثمين صورتها الإبداعيّة المجدّدة قياسا إلى الإشادة بصورتها الأنثويّة الجذّابة.

لقد كانت مي تمثّل في تلك الفترة الانتقاليّة صورة المرأة الجديدة الّتي كان يهفو إلى التّواصل معها أقطاب عصرها، لأنّهم لا يجدونها في حياتهم المزدوجة الّتي لم تكن لترق فيها المرأة إلى الجمع بين التميّز المعرفيّ وألق الأنوثة الجذّابة، وهو ما جعل مي تمثّل لديهم أيقونة عصرها، ولكن يبقى السؤال قائما: هل كانت مي زيادة مقتنعة بأنّها حقّقت في علاقاتها بهذه الجماعة الرجاليّة العالمة صورة اكتمالها الأنثويّة والإنسانيّة الّتي كانت تنشدها؟

إنّ ما يتوفّر لدينا اليوم من وثائق شخصيّة نسائيّة ذاتيّة لكاتبات عصر النّهضة العربيّة الحديثة يفتح أمامنا مجالا بكرا لتقصّي الثّغرات الّتي يزخر بها تاريخ تحرير المرأة العربيّة بأقلام أعلام عصرها الرّجاليّة. فالمرأة الكاتبة لم تكن بمعزل عن طرح قضيّتها الجوهريّة، وهي قضيّة تحريرها مثلما يراد لنا أن نعتقد في تاريخ الأفكار السّائد إلى وقت قريب، بل إنّ الوقوف على المرجعيّات السّيريّة النّسائيّة خاصّة يدعم نقيض ذلك تماما، ويدلّ على أنّ المعركة النّضاليّة النّسائيّة/ النسويّة العربيّة انطلقت على يد الأديبة المصريّة عائشة تيمور (1840-1902) منذ نهاية القرن التّاسع عشر، وامتدّت داخل تسلسلات جيليّة كانت تعمل على بلورة توجّهات مدرسة نسويّة عالمة لها منطلقاتها الجندريّة المخصوصة، ولها رؤاها التّحريريّة في كلّ مجالات الحياة، وهو ما تمّ التوثيق له في المرجعيّات السّيرذاتيّة الّتي أشرنا إليها.

إنّ عائشة تيمور مثّلت قاعدة المدرسة النّسويّة العربيّة الحديثة، فهي أوّل امرأة كاتبة تفطّنت بداهة لإقصائيّة هويّة الجندر الأنثويّة الّتي يتمّ تكريسها عبر التّنشئة الاجتماعيّة والأسريّة، فقد أدلت في المقدّمة السّيرذاتيّة لديوانها (كشوفه) السّيرذاتيّة برفضها منذ نعومة أظفارها الانصياع للتنشئة الجندرية المتمثّلة في حذق التطريز وشؤون البيت وتمسّكها بالقلم والقرطاس نبراسا لها، وكان ذلك بمساعدة والدها. وهي حادثة مثّلت اللّبنة الأولى في تهيّؤ المرأة لخوض غمار المعركة التحرّريّة ومواجهة التّحدّيات الجندريّة الّتي كانت تحول دون مرئيّتها الثّقافيّة والمعرفيّة. تقول التيموريّة في مؤلّفها (مرآة التأمّل في الأمور) رافضة الوصاية الذكوريّة المقصية للمرأة من مجال الحياة العامّة والثّقافيّة (فيا رجال أوطاننا وملاّك زمام شأننا لما تركتموهنّ سدى وذهلتم عن مزايا التأمّل فيما تفعل اليوم ستلقاه غدا. فمن أنّكم بخلتم عن أن تمدّونهنّ بزينة الإنسانية الحقيقيّة ورضيتم بتجرّدهنّ عن حليتها البهيّة وهنّ بين أنامل سطوتكم أطوع من قلم. وخضوعهنّ لسلطتكم أشهر من نار على علم، فعلام ترفعون أكفّ الحيرة عند الحاجة كالضال المعنى. وقد سخرتم بأمرهنّ وازدريتم باشتراكهنّ معكم في الأعمال واستحسنتم انفرادكم بكلّ معنى. فانظروا عائد اللّوم على من يعود. (في الأصل مقالة بعنوان لا تصلح العائلات إلاّ بتربية البنات /جريدة الآداب 1888)

> **تحرير المرأة لا بدّ من أن يكون في واقع الأمر قضيّة المرأة الّشخصيّة والإنسانيّة قبل أن تكون مسألة إصلاحيّة حضاريّة في المقام الأوّل**

وبذلك تكون التيموريّة قد حقّقت الّسبق في الدعوة إلى تحرير المرأة وجعلت من تجربتها السّيرذاتيّة علامة فارقة على دخول المرأة العربيّة منعرجا تاريخيّا جديدا تتجلّى فيه مرئيّتها الثّقافيّة، وأصالة الدفاع عن تحرير نفسها بنفسها خارج أطر الوصاية الذكوريّة الّتي أصبح انتقادها بندا ثابتا لدى الأجيال النّسائيّة اللاّحقة. فملك حفني ناصف كانت تجعل من هذا المبدأ حجر الأساس في نقدها للهيمنة الذكوريّة. وفي ذلك تقول في النسائيات: (ليدعنا الرجل نمحّص آراءه ونختار أشدّها، ولا يستبدّ في (تحريرنا) كما استبدّ في (استعبادنا) إنّنا سئمنا استبداده إنّنا لا نخاف من الهواء ولا من الشمس وإنّما نخاف عينيه ولسانه...) ومن هذا المنطلق التلفّظيّ الأصيل، كانت ملك حفني ناصف تناقش قضايا المرأة الاجتماعيّة وتتدبّر حلولا لها انطلاقا من خبراتها الشّخصيّة ومعرفتها بمختلف أوساط نساء مصر الاجتماعيّة. إنّ جيل التيموريّة- وهي أيقونته القاعديّة- الّذي مثّلته أيضا وردة اليازجي(1838-1924) بدرجة أقلّ، كان إرهاصا ببدايات مدرسة نسويّة عالمة كانت ترابط خلالها أجيال من النّسويّات المصريّات من أجل تشكيل رؤى تحرّريّة للمرأة بقلم المرأة وبرؤاها. وهو ما تفطّنت له مي زيادة في مؤلّفها السّيري عائشة التيموريّة مقرّة لها بهذا الدور الرّياديّ ومستبعدة ما كانت تعتقده من ريادة قاسم أمين مثلما كان يروّج له تاريخ الأفكار الذكوريّ في عصرها.

إنّ التّرابط الجيليّ المكوّن لما اصطلحنا عليه بالمدرسة النّسويّة العربيّة العالمة تشكّل في ظلّ أصالة المقوّم التلّفظي المحيل على المرأة نفسها -مثلما ذكرنا- ولكنّه تطوّر تدريجيّا نحو تشكيل ذاكرة نسائيّة تؤسّس لمرجعيّات النّساء التّاريخيّة والثّقافيّة وتفسح لهنّ مرئيّة قلميّة في تاريخ الأفكار لم تكن لها أيّ مشروعيّة تذكر في التّاريخ الذكوريّ الرسميّ. هذه الذاكرة هي الّتي ستمكّنهنّ من

وثّقت مي زيادة للحراك النّسوي الفكريّ وجعلت من نصوصها السّيريّة فضاء حواريّا بامتياز جادلت فيه العديد من الآراء المطروحة مثل التّعليم والسّفور والقوامة وعلاقة الرّجال بالنساء

إجلاء أصواتهنّ ثمّ تعميقها ومراكمتها عبر محطّات التّاريخ الحديث. وتعتبر زينب فوّاز(1860-1914) السبّاقة لوضع حجر الأساس في هذا المشروع الطموح، وذلك من خلال تأليفها لموسوعتها النّسائيّة الضخمة (الدرّ المنثور في طبقات ربّات الخدور)، ولئن وثّقت هذه الموسوعة لفئات نسائيّة متنوّعة عربيّة وأجنبيّة، فإنّ أهمّ ما يرصد فيها هو تخصيص زينب فوّاز لحيّز نصيّ هامّ يؤرّخ لعائشة التيموريّة ولأفكارها التحرّريّة الواردة في مرآة التأمّل في الأمور وبذلك تكون أولى الكاتبات المصريّات المؤسّسة للذاكرة الترابطيّة النّسائيّة الّتي ستتحوّل تدريجيّا من ذاكرة ببليوغرافيّة إلى مرجعيّة نقديّة انطلقت منها قدريّة حسين(1888- 1955) لإعادة كتابة ذاكرة سيريّة للمرأة المسلمة الحاكمة، فكانت كتابة جديدة كلّ الجدّة تنوّه ببطولات المرأة التّاريخيّة و تدحض في التوثيق لها كلّ التّمثيلات الجندريّة الذكوريّة السلبيّة الّتي كان يسقطها عليها الفكر الذكوري المهيمن في تاريخ الثّقافة العربيّة.

قدرية حسين

عائشة تيمور

لقد أعادت قدريّة حسين في مؤلفها (شهيرات النساء في العالم الإسلاميّ) كتابة تاريخ شجرة الدرّ مبرزة من هذا المنظور النقديّ أهليّتها السياسيّة وحكمتها في إدارة مقاليد حكمها حتّى أنّ خطبة الجمعة كانت تقام باسمها، وباسمها أيضا ضربت النّقود. وهكذا أعيدت كتابة سيرة شجرة الدرّ على نحو مخالف تماما لما كان يروّج عنها من مطاعن تستهدف تقزيمها والتشكيك في جدارتها وأهليّتها لتكون امرأة حاكمة، لأنّ المرأة لا تكون في التمثيلات الجندريّة إلاّ كائنا انفعاليّا وعاطفيّا لا يصلح لإدارة الشّأن السّياسي والعامّ. وفي هذا الصدد انتقدت قدريّة حسين عكسيّا التحيّز التّاريخيّ الذّكوري الّذي كان يتغاضى مثلا عن سقطات هارون الرشيد، ويصنع له سرديّة بطوليّة أسطوريّة لا تصمد أمام الهنات الّتي يمكن توجيهها موضوعيّا لحكمه وشخصه السّياسيّ لا لشيء إلاّ لكونه رجلا يتماهى التوثيق لمسيرته مع معايير هويّة الجندر الذكوريّة الّتي تجعل من القدرة على الحكم والحكمة العقلانيّة من مكوّنات هويّة الجندر الذكوريّة غير المطعون فيها.

لقد استطاعت قدريّة حسين أن تبرهن على أنّ كتابة التّاريخ ليست فعلا بريئا، بل هي تأويل ايديولوجيّ له، ولئن تقنّع بالموضوعيّة، فالوثائق وحدها لا تنطق بشيء موحّد، وإنّما المؤرّخ هو الّذي ينطقها ويستنطقها وفق المعايير والتّمثيلات المشكّلة لأفقه النّوعيّ والإنسانيّ والاجتماعيّ، وبذلك تكون هذه المؤلّفة قد مارست خطابا ابستيمولوجيا غير مسبوق، لأنّها كانت وهي تعيد كتابة سرديّة شجرة الدرّ السياسيّة تبني خطابا منهجيّا في نقد المعرفة على خلفيّة تفكيكها للفرضيّات الجندريّة المتحكّمة بصياغة الخطاب المؤوّل للتّاريخ في أنساقه الرّجاليّة الذكوريّة. هذه الخطوة المتقدّمة هي بحدّ ذاتها امتداد للمحطّات السابقة الّتي مهّدت لها، وفي ذلك دليل لا يرقى إليه الشكّ في أنّ الكتابة النّسائيّة تسلسليّة ومتطوّرة، وكما كان لقدريّة حسين فضل إعادة إنتاج تمثيلات المرأة السّياسيّة في الثّقافة العربيّة من أجل الدّفع إلى تغيير العقليّات الآخذة بدونيّة المرأة وضعفها الطبيعيّ، كانت لمي زيادة مزيّة الرّيادة في تثمين سير أعلام نساء عصرها من خلال التوثيق لأفكارهنّ ومآثرهنّ ونضالهنّ في سبيل دعم المسار التّحرّري للمرأة العربيّة. لقد كتبت مي زيادة ثلاث سير: وردة اليازجي، عائشة تيمور وباحثة البادية الّتي عاصرتها وكانت تبادلها الرسائل التّي تناقش قضايا تحرير المرأة في الأسرة والمجتمع.

مي زيادة

ملك حفني ناصف

كتبت مي زيادة ثلاث سير: وردة اليازجي، عائشة تيمور وباحثة البادية الّتي عاصرتها وكانت تبادلها الرسائل الّتي تناقش قضايا تحرير المرأة في الأسرة والمجتمع.

لقد وثّقت مي زيادة للحراك النّسوي الفكريّ وجعلت من نصوصها السّيريّة فضاء حواريّا بامتياز جادلت فيه العديد من الآراء المطروحة مثل الّتعليم والسّفور والقوامة وعلاقة الرّجال بالنساء وما شابه، مقرّة بأنّ التيموريّة سبّاقة لفتح أبواب الجدل الاجتماعيّ، ولكنّها لم تكتف بكتابة تاريخ الأفكار الاجتماعيّة من وجهة نظر نسائيّة، وإنّما محّضت سرديّاتها السّيريّة لتدشين نقد أدبيّ نسويّ كانت تريد من خلاله التّعريف بالمنجز الأدبيّ الشعريّ والقصصيّ للرائدات، وعلى رأسهنّ عائشة التيموريّة الّتي نظمت الشعر بالعربيّة والفارسيّة والتّركيّة، فضلا عن كتابتها للقصّة في زمن مبكّر جدّا تحت عنوان (نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال). فلمي زيادة يعود الفضل الأوّل في التّعريف بخصائص الأدب النّسائيّ وتحليل اتّجاهاته وخصائصه لدى رائدات النّهضة مقترحة تأسيس نقد نسويّ يلائم خصائص الكتابات النّسائيّة باعتبارها خلافيّة في أساليبها ورؤاها وعوالمها الشعريّة منها والسرديّة. وبذلك نكون قد قطعنا مسافة هائلة تفصل بين التّجميع الببليوغرافي الّذي أتته زينب فوّاز من ناحية، وتطوّره لدى قدريّة حسين ثمّ مي زيادة من ناحية ثانية إلى سرديّات ضديدة أو ضدّ-ذكوريّة تعيد الاعتبار لكفاءات النّساء ومؤهلاتهنّ العمليّة والثّقافيّة المتميّزة، وتنزلهنّ بواسطة الكتابة صلب النسق الثّقافيّ الّذي كان مغلقا دونهنّ. لذلك يمكن القول بأنّ تحرير المرأة في هذا التوجّه كان مختلفا تمام الاختلاف استراتيجيّا عن تحريرها داخل جدل النسق الذكوري الّذي اصطدم فيه المصلحون التّنويريون بالجماعة المحافظة الّتي كانت تدافع بشراسة على بنية الهيمنة الذكوريّة محتجّة على ذلك بتفعيل تأويل فقهيّ ذكوريّ، سنرى أنّ نظيرة زين الدّين (1908-1976) في كتابها (السّفور والحجاب)، محاضرات ونظرات، (تحرير المرأة والّتجديد الاجتماعيّ في العالم الإسلاميّ) (1928) ستحتجّ عليه معتمدة الآليّات التأويليّة الفقهيّة نفسها الّتي اعتمدها المحافظون للوصول إلى قراءات مناقضة تماما لما أقرّوه من أحكام تخصّ النّساء. وهي تجري في ذلك مجرى قدريّة حسين إذ تنتج سرديّة فقهيّة ضد- ذكوريّة مثلما أنتجت الأخيرة سرديّة تاريخيّة ضدّ-ذكوريّة.

إنّ كتابات الذّات بأنواعها وكذلك كتابات السّير النّسائيّة مثّلت لنا مخزونا على غاية كبيرة من الأهميّة استنطقناه للتّوثيق لمسيرة تحرير المرأة العربيّة الطويلة الّتي لم يكن فيها زعماء الإصلاح وعلى رأسهم قاسم أمين سوى طرف خارجيّ محكوم بمشاغله المجتمعيّة العامّة ومصالحه، فضلا عن تموقعه الذكوريّ المتأصّل في بنية المجتمع الأبويّة.

المرأة العربيّة الكاتبة حجبت في تاريخ الأفكار الرسميّ، ولكنّ الكاتبات العربيّات هنّ اللاّتي رفعن التّحدّي الأكبر الذي تمثّل في اقتحام الحقل الثّقافي بحدّ القلم للمشاركة الفعليّة في صياغة أفكار عصرهنّ بما فيها المتعلّقة بتحديث أوضاعهنّ المعطوبة تاريخيّا، ولكنّ قلمهنّ كان أيضا الأداة الّتي وثّقت لمسارهنّ التحرّري الشّجاع الّذي كان يبني الشّرعيّة المعرفيّة والثّقافيّة للمرأة العربيّة من خلال نحت ذاكرة لها متنوّعة المرجعيّات صالحة لتكون قاعدة صلبة يستند إليها الحراك التّحرّري النّسويّ العربيّ الحديث عبر مختلف محطّاته النضاليّة الماضية منها والمستقبليّة.

قراءة جديدة في السيرة الذاتية

كمـــال عبد الرحمن
أديب وباحث وناقد من العراق

ما إن يظهر جنس أدبي جديد حتى تقوم قيامة الباحثين والدارسين والنقاد والمنظرين، كلٌّ يكتب بما يراه يمثل إضافة ما إلى هذا النوع من الأدب، ووصلت الموجة إلى (السيرة الذاتية) التي قال عنها بعضهم إنها الوريث الشرعي للرواية أو البديل الوحيد لها، فقامت قيامة جديدة يقودها نقّاد أجانب وعرب، بالإضافة إلى كثير من الطروحات والكتب والرسائل الجامعية التي اشتغلت على هذا الجنس الأدبي الجديد حصرا، ولكثرة ما كُتب عن (السيرة الذاتية) زعم الإنشائي الفرنسي فيليب لوجون أن السيرة الذاتية هي (قارة) بأكملها.

أولا:السيرة:

راوٍ يكتب عن سيرة عامة لأشخاص غادروا الحياة منذ زمن بعيد(أنبياء/ ملوك/ قادة/ أبطال..الخ) وفي هذه السيرة يشتغل السارد على الأمانة التأريخية والوقائع كما حدثت وبأسلوب فني بسيط، ومثال على ذلك (السيرة النبوية) لابن هشام وغيره.

السيرة الغيرية:

هي (سيرة) لكن يختلف فيها هنا أمران، الأول: يكتب السارد عن شخص حيّ أو ميت منذ زمن قريب، والثاني: يعرف السارد الكثير من تفاصيل هذه الشخصية من خلال علاقته المباشرة أو غير المباشرة بها، والمباشرة: قد يكتب الراوي عن أبيه، وغير المباشرة كما كتب لوجون عن جد أبيه، حيث يقول: (بعد أن اشتهرتُ كمنظّر للسيرة الذاتية، فاجأني والدي ذات يوم بقوله (ألست تشتغل على السيرة الذاتية؟ سأريك إذن شيئاً يهمّك)، ثم أتى بمخطوط وقال لي (هذه أوراق كتبها جدّي إيكزافييه إدوار عن حياته)).

من الصعب القبول بفكرة وجود ميثاق أو عهد بين السارد الذاتي والمتلقي... فالسيرة الذاتية ميثاق أخلاقي يعقده السارد مع نفسه لا مع غيره

السيرة الذاتية:

شخص يكتب عن نفسه سيرة كاملة ودقيقة بتقانات فنية ووقائع حقيقية، ويشمل ذلك جميع الأشخاص الذين يتعالقون سلبا وإيجابا مع حياة السارد، ويفضّل أن يكون السرد بضمير المتكلم وهو الشخصية الرئيسة أو المركزية

زعم الإنشائي الفرنسي فيليب لوجون أن السيرة الذاتية هي (قارة) بأكملها

في السيرة وهو أيضا(الأنا) الراوية العالمة بكل تفاصيل وحيثيات السيرة.

ثانيا: تكتب السيرة لغرضين تتفرع من كل منهما عناوين عديدة:

الغرض الأول: يمكن تسميته ب (السلبي) وهو قد يكون:

ا. ناتج عن عقدة نفسانية(التسلط/ احتقار الآخر/ التكبر..) ومنها أمثلة كثيرة، ونذكر (كفاحي) لهتلر.

ب. لإظهار تفوق ال(الأنا) في مجال ما.

ج. سيرة ترتكب فيها (الأنا) مجموعة تصرفات غير صحيحة، حتى ليمكن تعريف هذه (الأنا) على أنها مجموعة من الأخطاء، وتكون الغاية في الغالب من هذه السيرة هي تعميم الخطأ وتشويق الآخرين لارتكابه.

د. إسقاط ذنوب (الأنا) على الآخر. بحجة كونها ضحية بريئة من ضحايا المجتمع.

الغرض الثاني (الإيجابي): وقد يكون:

أ. تنفيس عن كربة إنسان بعرض أوجاعه وإحباطاته على الآخر.

ب. سيرة الرموز الإنسانية الكبرى التي خدمت البشرية في المجالات المختلفة كالعلماء والإدباء والفلاسفة وغيرهم.

ج. افتخار (الأنا) بسيرة ذاتية مميزة عبر كفاح شريف في تأسيس ظاهرة يقتدى بها.

د. اعتراف شخصي عن سيرة ذاتية رأى صاحبها لابد من نشرها مهما كانت النتائج.

السيرة الذاتية: شخص يكتب عن نفسه سيرة كاملة ودقيقة بتقانات فنّية ووقائع حقيقية... ويفضّل أن يكون السرد بضمير المتكلم

ه. ربما يرى بعض كتّاب السيرة الذاتية في ذلك تكفيرا عن ذنوب وأخطاء لاينبغي تكرارها لدى الآخرين.

هذه بعض اغراض كتابة السيرة الذاتية،ومؤكد هناك أغراض أخرى لكتابتها، ويقول جورج ماي: (إن دوافع استعادة الذكريات والبوح بها هي دوافع عقلانية أحيانا، كالرغبة في التبرير، أو الإدلاء بشهادة، أو عاطفية كالرغبة في التباري مع الزمن، وفي عثور المرء على معنى لوجوده[1]).

ثالثا: شروط نجاح السيرة الذاتية:

أ. يكتبها شخص ذو مؤهلات كفوءة مهمة تجعله يتحمل مسؤولية هذه السيرة.

ب. اتباع التسلسل التدريجي في سرد الحوادث بشكل منطقي .

ج. التوثيق اليومي للأحداث يشكل يوميات ذات معلومات دقيقة يمكن اعتبارها مادة السيرة الأساسية.

د. ضرورة أن تكون (الأنا) مركز الأحداث وتدور حولها الوقائع بما في ذلك من شخوص لها تأثير على شخصية السارد وبدونها سيكون هناك فراغ في السرد السير ذاتي.

ه. توخي الدقة في كتابة السيرة أي الوقائع كما حدثت حرفيا مهما كانت محرجة أو سلبية أو ذات تأثير مزعج للراوي.

و. استعمال ضمير المتكلم في السرد (أنا: فعلتُ)[2]، بحيث تظهر السيرة الذاتية (كرواية مكتوبة على لسان الشخص المتكلم، ويبدو فيها التطابق بين الراوي والشخصية الأولى)[3] ويكون ضمير المتكلم هو الوسيلة المباشرة والأكثر تأثيرا، حيث إن (الراوي يستخدم ضمير المتكلم، لا ليوجد علاقة بينه وبين الواقع، وإنما ليرتفع بعيدا عنه، ويبرئ نفسه من سلبياته، فانتماؤه ينحصر في تعرية الواقع ونقده، وعلى الإشارة إلى موضع العلة فيه)[4] أما استعمال ضمير المخاطبة أو الغياب ففيهما من العيوب التي تنأى بالقارئ عن صدق النص، لأن (أنت: فعلتَ: فيه تمويه) أو الغياب (هو: فعلَ: فيه إخفاء).

ولاحظنا في الرواية السيرذاتية التخيّلية غير الحقيقية (ساق البامبو) أن السارد كان يتحدث بضمير الـ (الأنا) مع أن الرواية هي من خيال سعود السنعوسي.

ز. ينبغي على الراوي أن يقود سفينة (السيرة) بأمانة واتقان وتوزيع الأدوار على الآخرين كما هي في الحقيقة دون اضافة او حذف.

ح. في السيرة الذاتية لاينبغي لأية شخصية أن تطغى على شخصية السارد حتى لو كانت شخصية (الأم) التي في الغالب تسكن أرواحنا قبل ان تسكن عقولنا وقلوبنا.

ك. من الصعب عقد ميثاق أو عهد بين السارد والمتلقي كما يرى لوجون، فالراوي لاسلطة لأحد عليه، فهو حر فيما يكتب، ولاتحده حدود سوى العقل السليم وطبيعة الشخصية وشيء من الأخلاقيات التي لاترضى إلا بالصحيح.

رابعا: أمراض السيرة الذاتية:

أ. المبالغة: ترنو النفس البشرية إلى الخلود بأي طريقة، وتميل إلى المثالية والمبالغة في إضفاء الصفات المثالية على الذات الساردة هي مرض من أمراض السيرة الذاتية.

ب. التمويه: التمويه ليس إخفاءً، الشيء موجود وظاهر للعيان ولكنه مموه بحيث تصعب رؤيته بوضوح، وتمويه الحقائق يخالف الميثاق الذي عقده السارد مع المتلقي بحسب لوجون.

1 أدب السيرة الذاتية، عبد العزيزشرف، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، 1992،: 19(عن جورج ماي)

2 في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة/ 240، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988،:184_185

3 أدب السيرة الذاتية في فرنسا (المفاهيم والتصورات)، فليب لوجون، ترجمة: ضحى شيحه، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد الرابع، السنة الرابعة، 1984م،: 28

4 صورة المرأة في الرواية المعاصرة، طه وادي، القاهرة، مركز كتب الشرق الأوسط، 1984،:103

ج. الإخفاء: كما هو واضح إخفاء الحقائق بمعنى حذفها من السيرة الذاتية

د. الكتابة من الذاكرة: الاعتماد على الذاكرة في كتابة السيرة الذاتية هو نوع من المغامرة في تقييم حياة السارد، ومؤكد إنها طريقة غير ناجحة، حيث ستضيع الكثير من التفاصيل التي ربما تكون مهمة ولها علاقة مباشرة بالذات الساردة.

ه. ينبغي على صاحب السيرة ألا يكتبها على شكل خطوط عريضة ويسلمها إلى كاتب مختص يحولها إلى سيرة ذاتية، فلا يجوز أن يتدخل أحد في كتابة السيرة الذاتية مهما كان دوره وواجبه.

و. العاطفة سلاح ذو حدين، فعندما نتحدث عن (الأم) مثلا، نذكر حسناتها ونضيف إليها شيئا من حسنات (الأب) وعندما نتكلم عن الأخير فقد نتحدث بشكل محايد عن شخص عادي، وكأنه ليس(الأب)!

ز. التعامل مع الشخصيات المشاركة في السيرة بحسب أدوارها الحقيقية في الحياة.

ح. شخصية صاحب السيرة الذاتية لها تأثير قوي ومباشر في صناعة سيرة ناجحة ومنطقية ومقبولة.

> **ينبغي على الراوي أن يقود سفينة (السيرة) بأمانة وإتقان وتوزيع الأدوار على الآخرين كما هي في الحقيقة دون إضافة أو حذف**

ط. مؤكد ستظهر نيّة السارد من خلال دراسة السيرة، ومع تقادم الصفحات ستقدم السيرة نفسها على أنها وثيقة إنسانية صادقة كتبت لفائدة المجتمع أو ذكريات سيئة يراد بها تعميم الخطأ وتشكيك الإنسان ببعض ثوابته أو معتقداته.

ي. يجب على السارد الذاتي ألا يتكلم بزاوية واحدة أو يكون أحادي النظرة، فالشاعر لاينبغي له أن يحدثنا عن مسيرته الشعرية وما لاقاه من أهوال في سبيل القصيدة.

ك. السيرة الذاتية تكتب مرة واحدة وإلى الأبد، فهي فرصة عظيمة نادرة تمرّ بحياة الإنسان.

ل. التخيل والتذكر داءان يصيبان السيرة الذاتية إذا لم يستعملا بدقة، وقلنا افضل سبيل لكتابة السيرة الذاتية هو التوثيق اليومي للاحداث.

أيضاً نقول هناك أمراض أخرى قد تضرب السيرة الذاتية ولكننا ذكرنا الأهم منها.

خامسا: كيف تكتب السيرة الغيرية؟

هناك طريقتان تكتب فيهما السيرة الغيرية:

الأولى: يمكن للسارد أن يكون فيها شاهدا أو مشاركا أو متفاعلا أو مؤثرا، وهنا يكتب السارد عن فرد من عائلته مثلا.

الثانية: يكون السارد فيها ناقلا محايدا لاعلاقة له بالأحداث وبمصائر الأشخاص، كما كتب لوجون عن سيرة جد أبيه، وكل ما فعله هو تغيير اسم الجد من (ايكزافييه) إلى (كاليكو).

سادسا: ميثاق لوجون:

من الصعب القبول بفكرة وجودة ميثاق أو عهد بين السارد الذاتي والمتلقي وذلك:

أ. كون السارد هو صاحب النص والمسؤول الأول والأخير عمّا يرد في السيرة، ولا يوجد أي التزام أو سلطة تلزم السارد بمثل هذا الميثاق.

ب. السيرة الذاتية ميثاق اخلاقي يعقده السارد مع نفسه لا مع غيره.

ج. لنضع في بالنا دائما لايوجد شيء اسمه سيرة ذاتية مثالية او حقيقية كما وقعت الأحداث حرفيا،فالبشر ناقص الكمال ولايمكن أن تكون سيرته مثالية مهما حاول واجتهد وصدق في صناعة هذه السيرة.

ختاما لابد من التوضيح أننا فصلنا بين مفردات المثلث السيري(السيرة / السيرة الذاتية/ السيرة الغيرية) وتمكنا من فك اشتباك مناطق التعالق بين هذه السير، فلكل منها قواعد وشروط ينبغي توافرها عند كتابة كل نوع من أنواع السير أعلاه.

ملف العدد

اليوميّات الخاصّة
واللّحظات المُخَلَّدة

د. نجوى عمامي

الباحثة بمخبر السرديات

كلية منوبة تونس

بفضل التّلاقح الحضاريّ قديما بين مختلف الأجناس في الحضارة العربيّة الإسلاميّة انتشرت أجناس سرديّة جديدة، تجاوزت مرحلة المشافهة ونظم الشّعر إلى كتابة الحكاية المثليّة والنّادرة والرّسالة الأدبيّة والمقامات، وبفضل التّلاقح الحضاريّ حديثا بين العرب والغرب في بداية القرن العشرين، ظهرت الرّواية1 والقصّة والأقصوصة والمسرحيّة، وكلّها أجناس سرديّة مرجعيّة عبّرت عن شواغل المجتمعات العربيّة التّائقة آنذاك إلى التحرّر من الأنظمة الاستعماريّة والبناء والتّشييد على أساس قيم الحرّيّة والحداثة والدّيمقراطيّة... كما تلقّف المبدع العربيّ أيضا أدب الذّات الّذي كان سبيلا إلى التّعبير عن الأنا بأشكال مختلفة تتنوّع بتنوّع خصائص كتابة جنس السّيرة الذّاتيّة Autobiographie أو المذكّرات Mémoires أو اليوميّات الخاصّة Journal intime أو أدب الرّحلة Récit de voyage. ..

1 ظهرت سنة 1913 رواية (زينب : مناظر وأخلاق ريفيّة (لمحمّد حسين هيكل.

تهتمّ السّيرة الذّاتيّة – وهي أشهر أجناس كتابة الذّات - بتتبّع أطوار حياة الأنا انطلاقا من محكيّ الطّفولة، لأنّها حسب تعريف فيليب لوجون[1] Philippe Lejeune (قصّة ارتجاعيّة نثريّة يروي خلالها شخص واقعيّ[قصّة] وجوده الخاصّ وذلك عندما يركّز على حياته الفرديّة وخاصّة على تاريخ شخصيّته)[2]. وأوّل من كتب سيرته الذّاتيّة والأشهر في الأدب العربيّ المصريّ طه حسين في كتابه (الأيّام) في ثلاثة أجزاء[3]، لتخليد سيرة مميّزة لمفكّر عانى التّهميش وطالته المظالم والاتّهامات. أمّا المذكّرات فقد استعمل المصطلح قبل ظهور مصطلح السّيرة الذّاتيّة بزمن، بل التبس به حتّى عُنوِنَتْ بعض الكتب المشهورة في السّيرة الذّاتيّة بالمذكّرات من قبيل كتاب ستندال[4] Stendhal مذكّرات سائح[5]، أو كتاب شاتوبريان[6] Chateaubriand مذكّرات ما وراء القبر[7]. واستنادا إلى النّظريّة التّعاقديّة الّتي وضعها فيليب لوجون في كتابه العقد السّير ذاتيّ[8] Le pacte autobiographique، فإنّ المذكّرات ينقصها الشّرط الثّاني، والمتمثّل في أنّها لا تعتني بحياة فرديّة وتاريخ شخصيّة معيّنة، لأنّها تركّز على الأحداث الخارجيّة ويقتصر دور صاحبها على المشاهدة وإخبار المرء بما شاهد وسمع. فموضوع الخطاب هو تاريخ الجماعات البشريّة الّتي ينتمي إليها الكاتب.

ورغم أنّ كتابة اليوميّات الخاصّة في الأدب العربيّ انطلقت منذ بداية القرن العشرين، فإنّها لم تزدهر وتُعرف

> **تعتبر كتابة الشّاعر التّونسيّ أبي القاسم الشّابّي ليوميّاته أمرا فريدا من نوعه، فهو لا يتقن لغة أجنبيّة وكانت صلته بالأدب الغربيّ عن طريق التّرجمة**

إلاّ في بداية القرن الحادي والعشرين إبداعا ونقدا. وفي بحثنا هذا سنتعرّف على خصائص هذا الجنس الأدبيّ الذّاتيّ ومميّزاته. وقد اخترنا توزيع عملنا ثلاث عناصر، في العنصر الأوّل بحث في النّشأة ، وفي الثّاني تعريف لليوميّات الخاصّة، وختاما لمحة عن اليوميّات العربيّة.

النّشأة

تعود جذور نشأة هذا الجنس الأدبيّ حسب الباحثة الفرنسيّة فرانسواز سيموني- تونان[9] Françoise Simonet-Tenant إلى العصور الوسطى حين كان التّجّار يسجّلون معاملاتهم على دفتر الحسابات، وفي سنة 1371 م صار يستعمل لتسجيل الأفعال والصّلوات قبل أن يستقرّ المصطلح على المعنى الحديث بداية من سنة 1777 م الخاصّ بالكتابة اليوميّة لأخبار الأنا أو ذات الكاتب، ولأنّ كلمة Journal الفرنسيّة تعني الجريدة والصّحيفة أُضيف نعت Intime الّذي تُرجم بـ (الخاصّ أو الحَميم (. وهكذا فاليوميّات الخاصّة هي نِتاج القرن الثّامن عشر في أوروبا، غير أنّها لم تعدّ جنسا أدبيّا إلاّ في القرن التّاسع عشر حين بدأ نشر مخطوطات اليوميّات بعد وفاة كتّابها[10].

بحث النّقّاد الفرنسيّون المختصّون في اليوميّات الخاصّة في العوامل الّتي ولّدت ظهور هذا الجنس الأدبيّ

1 فيليب لوجون Philippe Lejeune باحث وأكاديميّ فرنسيّ ولد في 13 أوت 1938 من أكثر الباحثين دراسة للسّيرة الذّاتيّة واليوميّات الخاصّة.

2 Philippe Lejeune, Le pacte autobiographique, Édition Seuil, 1975, p. 14.

3 ظهر الجزء الأوّل في سنة 1929.

4 ستندال 1842 – 1783) Stendhal) كاتب فرنسيّ، يعدّ أحد أبرز أدباء فرنسا في القرن 19.

5 Stendhal, Mémoires d'un touriste, Paris, 1838.

6 شاتوبريان 1848 -1768) Chateaubriand)، كاتب ورجل سياسة فرنسيّ.

7 François-René de Chateaubriand, Mémoires d'outre-tombe, 1849-1850.

8 في الجدول التّالي توضيح للنّظريّة التّعاقديّة مأخوذ من كتاب اليوميّات الخاصّة في الأدب العربيّ الحديث، نجوى عمامي، دار خريّف للنّشر، 2024، ص. 46:

9 فرانسواز سيموني- تونان أكاديميّة فرنسيّة ولدت سنة 1966 اختصّت في أدب الذّات.

10 Françoise Simonet- Tenant, Le journal intime genre littéraire et écriture ordinaire, Téraèdre, Paris, 2011, p.62.

شكل اللّغة	الموضوع	وضعيّة المؤلّف	وضعيّة السّارد
أ – سرد	أ- حياة فرديّة	تطابق بين المؤلّف والشّخصيّة الواقعيّة	أ- تطابق السّارد والشّخصيّة الرّئيسيّة
ب- نثر	ب- تاريخ شخصيّة واقعيّة		ب- منظور استعاديّ للسّرد

يعدّ الفلسطينيّ خليل السّكاكينيّ أوّل من كتب اليوميّات- حسب ما توصّلنا إليه- وقد شرع في تدوينها يوم السّبت 4 جانفي 1908، وأنهاها بعد ثلاث وأربعين سنة يوم الأحد 16 سبتمبر 1951

خليل السّكاكينيّ

د. طه حسين

الحديث، فتوصّلت بياتريس ديدياي[11] Béatrice Didier إلى أمرين. يتمثّل الأوّل في ظهور الطّبقة البورجوازيّة الّتي تؤمن بالنّزعة الفردانيّة الّتي تُشيد بذات الفرد وتُعلي من قيمة الأنا وقدرته على تحمّل مسؤوليّاته في ظلّ قيم الحرّيّة، وبتأثير من المذهب البروستانتيّ الّذي يتأسّس على مبدأ الرّقابة الذّاتيّة وحرّيّة الضّمير، وبتأثير أيضا من الفكر الرّومنطيقيّ فـ (اليوميّات الخاصّة ترتكز بأكملها على الاعتقاد في (أنا) وفي الرّغبة في معرفته وتهذيبه ومحادثته وتسجيله على الورق)[12]. فكلّ هذه التّغيّرات الفكريّة ساهمت في ميلاد جنس أدبيّ جديد أساسه محاورة الذّات، وتقييد لحظات من تفاصيل الحياة اليوميّة.

أمّا العامل الثّاني فترجعه ديدياي إلى الباحث آلان جيرار[13] Alain Girard الّذي أكّد تطوّر مفهوم (الشّخص) المبنيّة على فكرة التّناقض بين المساواة في الحقوق المدنيّة والاعتراف بمبادئ حقوق الإنسان من ناحية، وطغيان نظام رأسماليّ متوحّش من ناحية ثانية. وقد أدّى ذلك إلى (فردانيّة حمقاء ونرجسيّة لدى كتّاب شباب رومنطيقيّين. هذا الفائض من القوّة الّذي لم يستطع أن يجد له تعبيرا في المجتمع، أُودع في اليوميّات)[14]، الّتي انتشرت في أوروبّا في القرن التّاسع عشر وفي العالم العربيّ في القرن العشرين.

هكذا يمكننا القول: إنّ ظهور جنس اليوميّات الخاصّة في الغرب وبعدها عند العرب مرتبط بالتّحوّلات الفكريّة والسّياسيّة والاجتماعيّة الّتي عرفها العالم الحديث بعد الثّورة الفرنسيّة وانتشار الفكر التّنويريّ والمدرسة الرّومنطيقيّة في نظام رأسماليّ سادت فيه محوريّة الأنا، فكانت كتابات الذّات عامّة واليوميّات خاصّة أداة يواجه بها (الأنا (أزماته في عصر التّكنولوجيا والنّظام الرّأسماليّ المتوحّش. فتدوين اليوميّ يصبح وسيلة لتحدّي الضّياع والوحدة والنّسيان والموت.

التّعريف

بما أنّ هذا الجنس الأدبيّ غربيّ فإنّنا اعتمدنا تعريف المدرسة النّقديّة الفرنسيّة[15] السبّاقة في هذا المجال، واخترنا أشهر ناقدين اثنين وهما بياتريس ديدياي وفيليب لوجون[16].

11 بياتريس ديدياي Béatrice Didier باحثة وجامعيّة فرنسيّة ، ولدت سنة 1935، تخصّصت في الأدب الفرنسيّ.

12 Béatrice Didier, Le journal intime, Cérès Éditions, Tunis, 1998, p. 61.

13 آلان جيرار 1996 -1914) Alain Girard) جامعيّ وديموغرافيّ فرنسيّ.

14 م.س.، ص.ص 62-63.

15 لمزيد من التّوسّع يمكن العودة إلى كتاب اليوميّات الخاصّة في الأدب العربيّ الحديث، ص.ص.26 – 70.

16 كتب في ذلك العديد من الكتب نشير إلى بعضها:

(Chér cahier...)Témoignages sur le journal personnel, Gallimard, Paris, 1989.

- Le moi des demoiselles,Enquête sur le journal de jeune fille, Édition Seuil, Paris, 1993.
- Un journal à soi, catalogue établi avec Catherine Bogaert, APA et Amis des Bibliothéques de Lyon, 1997.
- Les Brouillons de soi, Éditions du Seuil, Avril 1998, Document numérique.
- (Chér écran...) un journal personnel, ordinateur, internet, Édition Seuil, Paris, octobre 2000.
- Signes de vie Le pacte autobiographie 2, Éditions du Seuil, Paris, Mars 2005.
- Philippe Lejeune et Catherine Bogaert, Le journal intime Histoire et anthologie, Les éditions Textuel, Paris, 2006.

تذهب ديدياي إلى أنّ (كلمة (اليوميّات) تتطلّب فقط ممارسة الكتابة يوما بيوم، طبعا مع انقطاعات وانتظام شديد التّغيّر)[17]. فالمبدأ الأساسيّ الّذي يميّز كتابة اليوميّات هو المواظبة على الكتابة يوميّا، وهذا لا يرتبط بقواعد مضبوطة، إذْ يكفي أن يجلس الكاتب وحيدا فيضع التّاريخ ويدوّن ما انتقى من لحظات مُخلّدة من أحداث يومه أو لقاءاته أو أفكاره... محاولا تثبيتها وحمايتها من الضّياع والنّسيان. وبما أنّ هذا التّدوين ذاتيّ وحرّ، وفي الأصل كان سرّيّا- قبل أن تُكتَب اليوميّات منذ 1910م بقصد النّشر- فإنّ (الحريّة هي في النّهاية وعلى الأخصّ ما كان سيشعر به الكاتب: إنّه حرّ في أن يقول كلّ شيء، وفق الشّكل والإيقاع اللّذين يناسبانه)[18]. وبما أنّ هذه الكتابة تكون يوما بيوم مع انقطاعات أحيانا، فإنّها تتّسم بالتّشظّي، الّذي يتجلّى في نصوص منفصلة عن بعضها البعض، يختلف طولها من يوميّة إلى أخرى، تُستَهلُّ بوضع التّاريخ الّذي يغدو (البنية الوحيدة الحقيقيّة لجنس لا بنية له)[19]. ولكنّ هذه النّصوص الّتي كُتبت متفرّقة على مرّ الأيّام حين تُجمَع في دفتر أو كتاب يُنشَر لاحقا تُحقّق انسجاما، وتكوّن وحدة موضوعها الأساسيّ حفظ لحظات مُخلّدة من حياة كاتبها، وكشف جوانب من ذاته وهي تغوص داخل (الأنا (وتحاوره متتبّعة ما شدّها من تفاصيل اليوميّ.

> **نذكر يوميّات الواحات لصنع الله إبراهيم، ومسار قلم للمؤرّخ الجزائريّ أبي القاسم سعد الله، وخواطر الصّباح للمغربيّ عبد الله العروي**

يعتبر فيليب لوجون أوّل من وضع الأسس النّظريّة لجنس السّيرة الذّاتيّة من خلال ضبطه للنّظريّة التّعاقديّة الّتي توضّح الحدود بين مختلف أجناس كتابة الذّات. لكنّه في مرحلة لاحقة اهتمّ باليوميّات الخاصّة منذ أكثر من عقدين من الزّمن[20]. عرّف اليوميّات في البداية بأنّها (سلسلة من الآثار المؤرّخَة)[21]، غير أنّه بعد سنة دقّق أكثر في التّعريف بأنّها (الكتابة يومًا بيومٍ: هي سلسلة من الآثار المؤرّخَة)[22]. فالآثار هنا لا ترتبط فقط بالكتابة بل يمكن أن تكون صورا أو رسوما أو تلصيقا لأشياء وغيرها من الآثار الّتي يخلّدها صاحب اليوميّات في المحمَل الّذي اختاره(دفتر، كنّش، أوراق، أجندا agenda. ..). فالتّأريخ في أعلى الورقة هو أساس هذه الكتابة الذّاتيّة الّتي تهدف إلى المحافظة على حرارة اللّحظات المعيشة والمُدوَّنة، لذلك تتنوّع اليوميّات بتنوّع كتّابها وتفرّد أساليبهم، كما يمكن أن تتنوّع عند نفس الكاتب وفق الموضوع المطروح أو حالته النّفسيّة والفكريّة، فاليوميّات (تستمدّ قيمتها من كونها أثرا للحظة)[23]، وبالتّالي فإنّ طريقة التّعبير والأسلوب ينبعان من تلك الأحاسيس وتقلّبات الذّات الّتي تبوح للورق بما يشغلها ويؤرّقها.

يوضّح فيليب لوجون أنّ وظيفة اليوميّات الخاصّة لا تقتصر على حفظ الذّاكرة، بل إنّها بالنّسبة إلى الأدباء والرّوائيّين خزّان[24] يمكن أن يعودوا إليه عند كتابة رواية أو

17 ديدياي، اليوميّات الخاصّة، ص. 6.(تولّينا تعريب كلّ الشّواهد الموظّفة من النّصّ الفرنسيّ)

18 م. ن.، ص. 6.

19 م.ن. ، ص.181.

20 منذ 1989.

21 Signes de vie Le pacte autobiographie 2, Éditions du Seuil, Paris, Mars 2005, p. 80.

22 Le journal intime Histoire et anthologie, p. 22.

23 Signes de vie, p. 85.

24 يقول في تقديمه للجزء الأوّل خواطر الصّباح يوميّات(-1967 1973) ص.5: (شرعت في تسجيل هذه الخواطر وأنا تلميذ في ثانويّة مرّاكش سنة 1949 حسب ما أتذكّر ولم أتوقّف منذئذ. استعملت جزءا منها في كتاباتي السّابقة وبخاصّة في اليتيم(1978) وأوراق(1998)).

إنّ اليوميّات الخاصّة صارت اليوم من أكثر الأجناس الأدبيّة تعبيرا عن شواغل الفرد الّذي تحاصره في العالم الآفات والحروب والمجاعات والتّغيّرات المناخيّة والعولمة والتّطوّر التّكنولوجيّ الرّهيب

قصّة. كما أنّها تغدو عند البعض وسيلة للتّفكير والتّأمّل لمواجهة مصاعب الحياة ومشاكلها. وتصبح عند البعض الآخر(متعة حقيقيّة يشعر بها الكاتب حين تكون له القدرة على أن يعطي شكلا ملموسا لما يعيشه ويخلق شيئا يتعرّف من خلاله على نفسه)[25]. وهذا ما يجعل اليوميّات تتجاوز النّزعة السّرّيّة الّتي نشأت عليها في الأصل، لتنتشر الكتب في العقود الأخيرة في الأدب العربيّ وخاصّة في العقد الثّاني من القرن الحادي والعشرين، معبّرة لا عن ذوات الكتّاب فحسب بل أيضا عن تفاصيل مجتمعاتهم وشواغلها. فكتابة اليوميّات حرّة وذاتيّة وسرّيّة تصبح جنسا أدبيّا يلعب دور المرآة.

اليوميّات العربيّة

سجّل الكاتب العربيّ منذ بداية القرن العشرين اليوميّات الخاصّة وإن لم ينشرها في حياته، وهو بذلك يلتقي مع المرحلة الثّانية من تعامل كتّاب اليوميّات الأوروبيّة مع المخطوطات الّتي تركوها ويعلمون أنّها سيُنشر بعد الوفاة[26]. كما ظلّت الكثير من المخطوطات محفوظة ليتولّى أصحابها بعد سنوات نشرها خوفا من تدخّل الآخرين بعد الموت في النّصّ بالحذف أو التّغيير، واقتناعا بأنّ نصوصهم يمكن أن تفيد القارئ العربيّ وتكشف جوانب من حياة الكاتب ومجتمعه، ومن ذلك نذكر يوميّات الواحات لصنع الله إبراهيم، ومسار قلم للمؤرّخ الجزائريّ أبي القاسم سعد الله، وخواطر الصّباح للمغربيّ عبد الله العروي.

يعدّ الفلسطينيّ خليل السّكاكينيّ[27] أوّل من كتب اليوميّات- حسب ما توصّلنا إليه- وقد شرع في تدوينها يوم السّبت 4 جانفي 1908، وأنهاها بعد ثلاث وأربعين سنة يوم الأحد 16 سبتمبر 1951. وباعتبار أنّ المخطوط كبير الحجم توزّع على كرّاسات ودفاتر عديدة اختارت ابنته هالة السّكاكيني[28] جزءا من اليوميّات نشرته بعد وفاة والدها بسنتين في كتاب عنوانه (كذا أنا يا دنيا) قصد تخليد ذكراه باعتباره رجلا (رسالته في الحياة هي الإنسانيّة المثاليّة)[29]. وتكمن قيمة هذه اليوميّات في رصد كاتبها لأحداث عالميّة ومحلّيّة هامّة شهدتها فلسطين من سنة 1908 إلى 1951. كما سجّلت تفاصيل من حياة شاعر وكاتب ورجل فكر ولغة، وتفاصيل حياة إنسان وزوج وأب امتدّت عقودا تنوّعت فيها وتيرة الكتابة، وحَكَمَها كثيرا التّكرار، وكلّ (هذه الاهتزازات هي مرآة حركة الحياة الإنسانيّة ذاتها في كلّ زمان ومكان)[30]. فالكاتب الّذي يواظب سنوات على تدوين اليوميّ، هو إنسان يحارب النّسيان والموت بترك آثار للحظات تخلّد مروره الوقتيّ على سطح الأرض.

تعتبر كتابة الشّاعر التّونسيّ أبي القاسم الشّابّي ليوميّاته أمرا فريدا من نوعه، فهو لا يتقن لغة أجنبيّة وكانت صلته بالأدب الغربيّ عن طريق التّرجمة، إضافة إلى أنّه شاعر مشهور يمتلك أدوات متنوّعة للتّعبير(الشّعر، قصيدة النّثر، الرّسائل، النّقد...)، غير أنّه قرّر أن يخوض غمار تجربة جديدة قصيرة بدأها في مطلع السّنة يوم 1 جانفي 1930 وختمها سريعا يوم 6 فيفري. فالشّابّي اختار عن قصد ووعي أن (يهتمّ بالأنا أساسا وتتحوّل وجهته وقتيّا عن الشّعر إلى النّثر)[31]. وقد كانت أحاسيس اليأس والمرض والحزن بعد فَقْدِ الأب والسّأم من دروس الحقوق، هي المحرّك الأساسيّ لكتابة يوميّاته، باعتبارها كتابة سرّيّة

25 نجوى عمامي، اليوميّات الخاصّة في الأدب العربيّ الحديث، ص. 58.

26 حدّدت تونان مراحل تطوّر نشر اليوميّات في ص. 62:

-المرحلة الأولى من 1800 إلى 1860 الكتّاب يكتبون لأنفسهم

- المرحلة الثّانية من 1860 إلى 1910 الكاتب لا ينشر ويعلم أنّ يوميّاته ستنشر بعده

-المرحلة الثّالثة من 1910 الكتّاب يكتبون بنيّة النّشر

27 خليل السّكاكيني(1878-1953) كاتب وشاعر فلسطينيّ.

28 هالة السّكاكيني (1923-2003) كاتبة فلسطينيّة.

29 خليل السّكاكيني، كذا أنا يا دنيا يوميّات، المطبعة التّجاريّة، ط. 1، القدس، 1955، ص. 4.

30 نجوى عمامي، اليوميّات الخاصّة، ص. 177.

31 نجوى عمامي، قراءة نقديّة في يوميّات أبي القاسم الشّابّي، نقوش عربيّة، ط. 1، تونس، 2021، ص. 71.

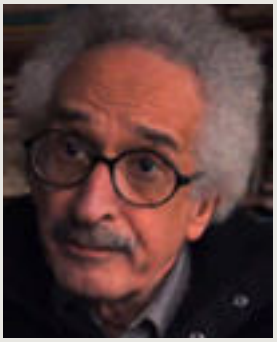

صنع الله إبراهيم

د. عبد الله العروي

تقوم على التّأمّل الباطنيّ ومحاورة الذّات لذاتها. زيادة على أنّ الكتابة الدّوريّة يوما بيوم تمنح الكاتب أملا في العيش إلى الغد ليكتب، إذْ أنّ(وجود فكرة اللّاحق- وإن كان مجرّد وهم- يجعله يدخل عالما خياليّا لا يفكّر فيه في النّهاية)[32]. ورغم قصر يوميّات الشّابّي كانت ثريّة بما كشفته من جوانب في شخصيّته ومن شواغل مجتمعه رأى حينها أنّ كتابة الذّات أفضل معبّر عنها، لأنّها تحاصر حرارة الحدث والفكرة وتخلّد لحظات من الحياة اليوميّة منتقاة، ينتصر بها كاتب اليوميّات على العجز والضّعف والنّسيان والموت، ولذلك سريعا ما انقطع الشّاعر عن تسجيل يوميّاته بعد نظمه لقصيدته النّبيّ المجهول المنشورة في الدّيوان بتاريخ 21 جانفي 1930.

> **أوّل من كتب سيرته الذّاتيّة والأشهر في الأدب العربيّ المصريّ طه حسين في كتابه الأيّام في ثلاثة أجزاء**

لئن كانت البدايات محتشمة يكتب أصحابها اليوميّات ويحتفظون بالمخطوط سنوات وعقودا قبل أن يُنشر، فإنّ هذا الجنس الأدبيّ ازدهر كثيرا في القرن الحادي والعشرين إبداعا وكتابة رغم قلّة البحوث العلميّة والنّقديّة فيه. والنّاظر في اتّساع المدوّنة في البلدان العربيّة عامّة وتونس خاصّة، يلحظ هذا الاهتمام المتزايد أكاديميّا وتقبّلا في مستوى القراءة والنّقد. وفي هذا الإطار رُصدت جائزة ابن بطّوطة لأدب الرّحلة واليوميّات، الّتي بدأت سنة 2003 ويمنحها (المركز العربيّ للأدب الجغرافي- ارتياد الآفاق في أبو ظبي ولندن (. وقد فاز بالجائزة من تونس2017 - 2018 كمال الرّياحي عن يوميّاته واحد- صفر للقتيل، وحسّونة المصباحي -2023 2024 عن يوميّاته أيّام في إسطنبول. وفاز بها مؤخّرا مناصفة بين السّعودي مشعان المشعان عن كتابه (ما أحمله معي... حياة وأسفار وتصوّرات أخرى) والمغربيّ محمّد محمّد خطابي عن يوميّاته (على وقع خطوات كريستوفر كولومبس.. رحلة إلى أمريكا الجنوبيّة (. فاليوميّات الخاصّة إبداعا ونقدا تعيش هذه الفترة انتعاشا وانتشارا سيخرجها من دائرة العتمة والازدراء والتّهميش.

الخاتمة

لا تعدّ كتابة اليوميّات كتابة سهلة وتمرينا بسيطا، لأنّ الانتظام في الكتابة يوما بيوم يتطلّب مواظبة وصبرا على الجلوس إلى الطّاولة والانكفاء على النّفس ليلا لانتقاء لحظات عاشتها ذات الكاتب، ويرغب في تثبيتها وتخليدها. والمواظبة على الكتابة بدورها تجعل بين الكاتب ودفتره أو المحمل الّذي اختاره(أوراق، أجندا، كرّاس، حاسوب، هاتف جوّال...) علاقة متينة، تغدو فيها الكتابة عادة يصعب الفكاك منها.

إنّ اليوميّات الخاصّة صارت اليوم من أكثر الأجناس الأدبيّة تعبيرا عن شواغل الفرد الّذي تحاصره في العالم الآفات والحروب والمجاعات والتّغيّرات المناخيّة والعولمة والتّطوّر التّكنولوجيّ الرّهيب، مع تفكّك أسريّ ووحشة ووحدة وانسداد الأفق أحيانا كثيرة. فاليوميّات هي الملجأ والمرآة الّتي تعكس صورة الكاتب، فتمنحه القدرة على الغوص في ذاته ومحاورة الأنا فيتعرّف على نفسه ويتمكّن من التّفكير والفهم وأخذ العبرة، وهكذا تغدو اليوميّات وخاصّة الّتي يكتبها الأدباء والمفكّرون معينا هامّا لدراسة المجتمعات العربيّة اجتماعيّا ونفسيّا وسياسيّا وألسنيّا وأخلاقيّا وفلسفيّا، دراسة عميقة تكشف التّغيّرات وتقترح الحلول لكلّ الظّواهر والإشكاليّات، لأنّ تاريخ الأفراد وسيلة لدراسة تاريخ المجموعة.

32 م.ن.، ص. 72.

ملف العدد

أمـــواج
عبد الله إبراهيم

نموذج مائز لأدب السيرة الذاتية

قراءة انطباعيّة

مديحة مدير
السعودية

الانطباع في النقد هو الأثر الذاتي الذي يتركه النصّ الأدبي في نفس القارئ، ويشمل ما يثيره من مشاعر، وصور، وتأملات، وانفعالات في نفسه. ومعلوم أن (الانطباعية) منهج نقدي قام على التعبير عن التجربة الشخصية أثناء قراءة الأثر الأدبي، بدلًا من تحليله بمنهجية منضبطة، فلا تهتم الانطباعية بالبنية أو السياق بقدر ما تهتم بالشعور الآني، والذوق الفردي، وها أنذا أعلن عن قراءتي الانطباعية لسيرة الناقد عبد الله إبراهيم الذاتية (أمواج) رغم ما قد أتعرّض له من انتقاد لأنني سأتحدّث عن ذاتي قارئة أكثر من الخوض في العالم العجيب لتلك السيرة.

بداية أقول: لطالما اجتذبتني الكتب كبيرة الحجم التي تندرج ضمن تصنيف (السيرة الذاتية (فهي تتحدّاني، لاقتنائها، ومعرفة ما تكتنزه من أفكار وأسرار، بخلاف الكتب النحيلة التي لا تسترعي اهتمامي، فكأنني أراها خالية من كل ذلك، وبالمناسبة فإن الدكتور عبد الله إبراهيم في مؤلفه (كتاب المقالات) أصطلح على النوع الأول (الجرذان الكبيرة) وعلى النوع الثاني (الفئران الصغيرة) وقارن بين النوعين. ويبدو أنّني من أنصار النوع الأول، فما أن أرى كتابا كبيرا حتى تنثال عليّ الأسئلة: يا ترى، ما الذي يدفع بالكاتب إلى كتابة كلّ تلك الصفحات؟ وماذا طمر فيها؟ وما الذي يريد إخبارنا به؟ أنا مسكونة باستخدام علامات الأسئلة، مثل: هل، وكيف، ولماذا، وهي تضرب في رأسي كلما رأيت كتابا، ولا تنطفئ جمراتها إلا باقتناء الكتاب، والانكباب عليه.

كانت القراءة محور حياة عبد الله إبراهيم، فهي نافذته إلى العالم منذ أولى مراحل شبابه

تلك كانت حالي في اللحظة التي وقعت عيناي فيها على عنوان جذاب من كلمة واحدة لا غير (أمواج) ثم اسم المؤلّف (عبد الله إبراهيم) مع تحديد هوية الكتاب (سيرة ذاتية) فنشط فضولي، وانهالت تلك الأسئلة دفعة واحدة، وبقراءة الفقرة الأولى من الكتاب سقطتُ أسيرة صفحاته البالغة خمسمئة وعشرين صفحة. ثم بالنظر في محتوياته، تضاعف فضولي كما لم يتضاعف من قبل، فقد صوّر حياته بإحدى عشرة موجة، كأني بها أمواج بحر عاصف. ولكلّ موجة عنوان جذّاب، وأكثر ما راقني، وحيّرني، عنوان الموجة الأولى، وهو (بيضة الريح).. يا ترى ماذا أودع عبد الله

"كلّ امرأة قارة لا ينبغي للرجل الادعاء أنه اكتشفها حتى لو أمضى معها العمر كله" هكذا وصف الكاتب علاقته بالمرأة

إبراهيم في هذا السِفْر الكبير؟ لقد عرفته ناقدا ومفكّرا، فما الذي أراد نفثه من أسرار حياته في هذه السيرة الذاتية؟ تلك أسباب كافية ووافية لأن أغوص في الكتاب بلذة عارمة ندرّ أن شعرتُ بها من قبل، وإليكم زبدتها.

حينما فرغت من قراءة (أمواج) خرجت مندهشة فعلا، فقد عرفت تجربة حياة مركّبة ما تخيّلتها من قبل. فالمؤلف العراقي صهر فيها أحداث حوالي نصف قرن من تجارب حياته في بلاد تمور بالأحداث الكبيرة بشتّى أنواعها. وعلمتُ أنه دأب على تدوين يومياته منذ شبابه حتى الآن، وأن سيرته الذاتية استخلاص سردي لتلك اليوميات صبّه في سيرته الذاتية. في الواقع كنت أعوم مع أمواج الكتاب، حتى خشيت من الغرق فعلا، فالكتاب سيل من الأحداث، والتجارب، والاعترافات، التي لا يجرؤ كثيرون على البوح بها، فكنت أتابعها بشغف، ومرارة، وحزن، وفرح، وعجب، وغضب، ورضا، واستغراب، حتى خلتني شخصيّة من شخصيات الكتاب.

وأنا أقرأ شعرت بأمر غريب، فبخلاف كثير من الكُتب التي تغادرها، فتنساها، كأنك لم تمرّ بها، فهذا الكتاب ترك دمغة في خيالي وعقلي. كأنه قد أحدث عندي عملية تحول روحي ونفسي. فقد تفاعلت مع الكتاب، وخرجت بفكر ووعي جديدين. أنا مثل الكاتب بالضبط شغوفة بالكتب، وهي تجتذبني إليها، فأندفع إليها أسرع من الريح، ووجدته يصرح بذلك كثيرا (شغفت بالقراءة منذ وقت مبكر (و) تعلمت القراءة قبل أقراني) هكذا قال في أولى نشأته،

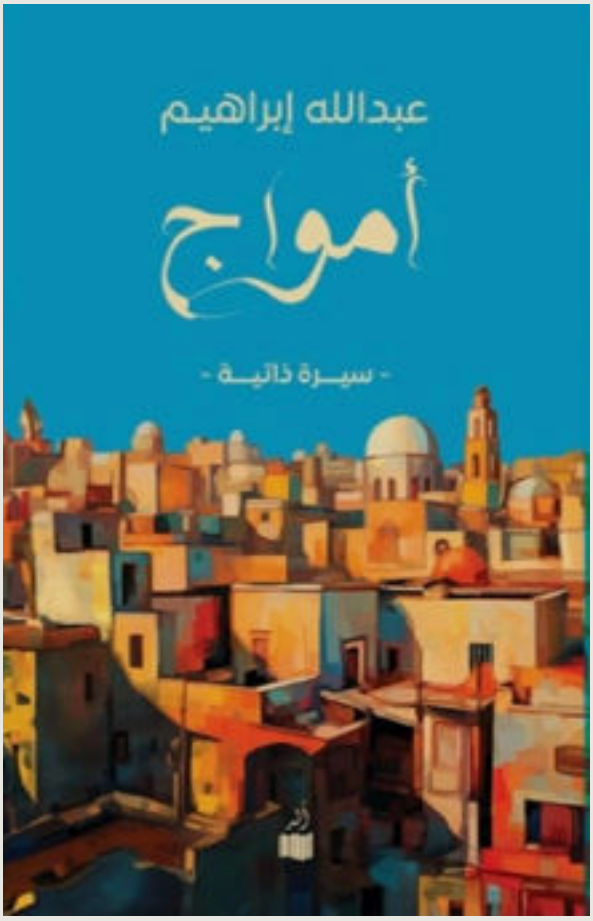

وجعل للقراءة مكانة خاصة في حياته، فشكلت عالما يمدّه بحياة بديلة منذ الطفولة. بدأ ذلك بكتاب القراءة في الصف الأول الابتدائي، فقد شغف بدرس مصوّر عنوانه (خالد في الغابة (فألهمه ذلك، وهو بجوار أمه ببناء مزرعة أشبه بغابة خالد، وتحقّق له ذلك بعد حوالي خمسين سنة، بمزرعة كبيرة، ومنزل فخم، ومكتبة ضخمة، وقد جرى تدمير كل ذلك وإحراقه بعد أحداث العنف التي أعقبت الغزو الأمريكي للعراق.

كانت القراءة محور حياة عبد الله إبراهيم، فهي نافذته إلى العالم منذ أولى مراحل شبابه، فقد تأثر بكثير من الشعراء، مثل بودلير وإليوت، ولكن الأكثر تأثيرا عليه هو رامبو (ما برح رامبو يطوف في عالمي كأجمل ذكرى) فالقارئ الذي يحبّ كاتبا يندفع إلى محاكاته، فالكتابة من شأنها أن تكون الحجرة الأولى حتى يجد فيه القارئ طريقته الخاصة في عالم الكتابة. ولكن قبل أن يحدث هذا، عليه أن يكون مخلصا لعالم الكتب، وشغوفا به. وقد عبّر عن ولعه بالكتب، وحملها معه في ترحاله للمدن التي سكنها. وطوال قراءاتي لأمواج كنت أسعد بوجود بعض الكتب المذكورة التي قرأها، ونالت إعجابه، وهي بالعشرات، لزفايج، ونيرودا، وماركيز الذي تأثر جدا به، وقرأ (مئة عام من العزلة) أربع مرات، وكتب عنها كثيرا.

> **بخلاف الكثير من الكُتب التي تغادرها، فتنساها، كأنك لم تمرّ بها، ترك هذا الكتاب أثراً في خيالي وعقلي. كأنه قد أحدث عندي عملية تحول روحي ونفسي**

جاءت كتابة السيرة الذاتية عند عبد الله إبراهيم كأداة في صون الحياة، فجعلتني أتساءل هل الكتابة أداة مقاومة، أم توثيق، أم علاج نفسي؟ وخلصت -على مستوى الشعور لديّ- أنها الثلاثة جميعا. كانت فعل مقاومة لأنها أتاحت للكاتب إيجاد صوته، وهويته، ورؤيته في مواجهة التحدّيات التي لازمت حياته، فقد أرادها أن تكون (مدونة اعتراف، وليس تبريرا) يخرج بها من إطار السيرة المتعارف عليه، ويخترق أسوار ذاته راكبا موجة تلو أخرى ليعترف أنه مثلنا -نحن الذين نختبئ خلف أقنعة مهترئة كيلا نقول الحقيقة- شخصيتان متضادتان (أنا الفرد المتخفّي في أفكاري ورغباتي التي ما انفكّت عطشى دون ارتواء، وأنا الجماعي الذي منح كل شيء في حياته لأسرته، وفيما بعد لطلابه، وقرائه) يا له من بوح صادق وجد طريقه لقلبي الذي راح ينبض بقوّة، فلم استطع الانفكاك عن مسار شخصيته الشغوفة للتدوين الذي شكل ذاكرته، وانتفع منه في كتابة سيرته، وهو بعيد عن موطنه العراق.

وبناء عليه أعتقد أن الأداة الثانية للكتابة ظهرت كفعل توثيق لهذه الأحداث جميعها مما منحها تحديا للسرديّة الرسمية المهيمنة التي ضلّلت الناس، فعامّتهم وقعوا ضحية أحاديث وأخبار بعيدة عن الحقائق، وفيها تشويه

> **كان رامبو هو الأكثر تأثيرا على الدكتور عبد الله إبراهيم "ما برح رامبو يطوف في عالمي كأجمل ذكرى"**

كبير لتلك الأحداث، فجاءت شهادة عبد الله إبراهيم لتعيد إنزالها في موقعها الحقيقي. كذلك وجدت المؤلف يكتب ليرمم ما بداخله من عزلة، فمنذ البداية يقرّ أنه كاد أن يفقد شعوره الإنساني حينما جرى سوقهُ إلى الجيش ليكون محاربا، وكافح ليحافظ على توازنه بعد اختلال، وتمكّن أخيرا من استعادته (وببطء أخذت استرد جانبا من رغباتي الإنسانية والكتابية) فتحققت بذلك الغاية من حيث أصبحت الكتابة علاجا نفسيا لروحه، ونجا بها من الضياع.

ولفتني كثيرا، بوصفي امرأة، علاقة المؤلّف المتشعبّة بالنساء اللواتي خاض معهن تجارب مؤالفة كثيرة، ولم تصادفني غزارة مشاعر تجاه النساء من كاتب قبل ذلك، فللمرأة حضور لافت في (أمواج) مما جعلني أتريّث، وألتقط أنفاسي، لاستيعاب ذلك الزخم من حضور المرأة في الكتاب. فالمرأة فيه (كوشم في عمق الروح) وهو القائل (كأنني بالمرأة أتفادى مواجهة الحقائق) و (وصرت أتخيّل المرأة رمزا أنثويا) تطوّر حضور المرأة ليصبح مدارا أوسع يفضي بها لنفسه القلقة، ويلقى أقصى سعادته في هذا الاعتراف الذي لا يصرّح به غيره (أمضي وقتي في القراءة وأحاديث النساء الدافئة التي تفوق عندي أهمية أي حديث) وجدت تمثيلا حقيقيا وصادقا لما يمكن أن تتشكل المرأة في خياله ونفسه، فهي بالنسبة إليه عمود ارتكاز مانحة إياه تجربة لا تنسى تتمثل (بعلاقات خاطفة، وصادقة، ولا يترتب عليها سوى الذكرى العميقة). اتضح ذلك من ميله الشديد للشعور بالحب المطلق، غير الخاضع لأي أحكام أو قيود، فهو يتوق للألفة، والعمق، والصدق، ويرفض أن يرهن نفسه للنظام الراسخ في الحياة الاجتماعية الرتيبة.

أراد عبد الله إبراهيم الاحتفاظ بالرمز الذي يحمله تجاه المرأة باعتبارها مرآة تعكس شعورا بالارتواء، فأتى على ذكر النساء بكل شفافية (وما شعرتُ أني ارتويت من امرأة غير أمي، وما انفكّت مشاعري تنقاد إلى ذلك المدار الذي دمغ طفولتي، فكل النساء كن عابرات يتوقفن قليلا في هضابي القاحلة، وما يلبثن أن يرحلن تاركات آثارا شاحبة سواها) ثم ذلك الموقف البديع الذي هزّ كياني، وتوغل في قلبي وعقلي حينما تحدث عن امرأة عرفها في شبابه، وتركت أثرها، كأنها (نجمة مرّت في سمائي بسرعة البرق، فتركت ومضًا أعشى بصري زمنا طويلا) مما يعكس تصورا متوقعا لعلاقاته التي عبرّت في رأيي عن إنسان استوعب شغفه بالنساء دائمات الحضور في عالمه (كلّ امرأة قارة لا ينبغي للرجل الادعاء أنه اكتشفها حتى لو أمضى معها العمر كله)، (وكلّ امرأة تطوي سرا)

ومن أشد المآسي التي يمرّ بها قارئ الكتب هي فقدان مكتبته، جراء حوادث أو حروب، وهالني أمر تدمير وتحريق مكتبة الدكتور عبد الله إبراهيم في منزله الريفي الذي بناه في مزرعته وسط بستان كبير. وبين أشجار وارفة الظلال، وإذا بالطائرات الأمريكية تحيله خرابا كاملا في ربيع عام 2015، فتفاقم وجعه بفقده مكتبته، فكان أن تذكّر حلم الطفولة الذي لازمه ببناء مزرعة وبيت ومكتبة، ولكن (لمّا تمكنت من ذلك، لم تكن لي أم، ولا بستان، ولا مكتبة، ولا وطن) شعرتُ بالألم، والفقد، والحنين، وتصوّرت المرارة التي عاشها الكاتب، فقد تعرض لتمزق نفسي ووجداني، فالكتب عنده تهدّئ القلق، لقد سلب منه الحلم في لحظة غاشمة؛ فحينما حسب أنه صار جاهزا للحياة، لم يجد شيئا منها يتطابق مع واقع مرير.

> **شكّلت مكتبة عبد الله إبراهيم رمزا لأمه، فقد أمدته بإحساس الحنو الذي افتقده وهو الطفل الذي لجأ إلى عوالم القراءة هرباً من عالم مضطرب**

شكّلت مكتبة عبد الله إبراهيم رمزا لأمه، فقد أمدته بإحساس الحنو الذي افتقده وهو الطفل الذي لجأ إلى عوالم القراءة هربا من عالم مضطرب، ولكن نالته أيدي الغاشمين حينما كبر، مما جعلني أتساءل عن لحظات الفقد التي تعصف بنا نحن البشر: هل نكتب عن الأشياء

حين نفقدها وتغيب عنا؟ هل يتحقّق لها وجود بالكتابة في عالم الذكرى الأبدي؟ تساؤلات أخذت بي بعيدا، وغمرتني في إحساس فقدنا للأشياء، فما بالنا حين تطال أشخاصا أحببناهم يوما، ومضوا عن هذه الحياة. كل ذلك جعلني أعيش تجربة الكاتب في سيرة عصفت بي، فلم تترك لي مجالا سوى أن انجرف معها بنهم، فأتلقّف الكتاب بما فيه، وأغمر نفسي في أحداثه، وتجاربه، كأنني أكتشف عالما جديدا، فاتضح لي إنسانية الكاتب، وجوانب قوته وضعفه، والصعاب التي واجهته في حياته، ثم اكتشاف عالمه الداخلي، والوقوف على التجارب التي عاشها في ظل حروب عصفت ببلاده. وعن ذلك كتب قائلا (أعرف أن وسيلتي الوحيدة لمقاومة ضغوط العالم الخارجي هي الاستغراق في عالمي الداخلي، فلكي أقاوم ذاك ينبغي أن أقوّي هذا، لكن الأحداث كانت تمضي بسرعة نحو الهاوية)

> **هذه سيرة يخرج منها القارئ بغير ما دخل إليها، حتى ليخطر له أنّه صاحبها، وأنه كاتبها، فهي له، أو أنها كُتبت من أجله**

لقد أدهشتني شخصية عبد الله إبراهيم، وأعتقد أن قوته ليست في مواجهة التحديات الخارجية، فقط، بل في رؤيته كشخص نأى بنفسه بعيدا، وسعى لما يريد تحقيقه. وفي هذا السياق أستذكر نصّا للكاتب الألماني (هرمان هيسه) في مجموعته القصصية (أحلام الناي (يصف فيها شخصية وجدتها مقاربة لشخصية مؤلّف أمواج (كان جادا أو مرنا حسب ما تقتضي الظروف، ويراقب العالم بعينين يقظتين، يشوبهما شيء من التعب، كان سيدا مهذبا وضليعا في تخصصه كما أراد أن يكون، إلا أن الأمور تحولت بالنسبة إليه تحولا جديدا، كما حدث له في نهاية طفولته. فقد أحس فجأة أن أعواما طويلة قد انقضت وتركته قائما في وحدة عجيبة، لا ترضيه طريقة في الحياة اشتاق إليها دائما).

ما الذي أخلص إليه من قراءتي الانطباعية لسيرة الناقد عبد الله إبراهيم؟ لقد شاركته في رغبة الاعتراف، وتحمّل تبعاته، فالاعتراف هو الانعتاق من المسلّمات الاجتماعية الدارجة، وبخلاف ذلك، جاءت (أمواج) اعترافا صريحا عن تجارب الحياة الفكرية، والاجتماعية، والدينية، والشخصية، وهي تجارب مطمورة لا يتجاسر أحد على رفع الغطاء عنها خشية لوم الآخرين، لكنّ صاحب(أمواج) أزاح اللثام عنها، فابتكر هويته، في الكتابة السردية على غرار الكتابة النقدية التي اشتهر بها، وكان أسلوبه خلابا، وجذّابا، ومفعما بالحيوية، وقوة التعبير. فهل كان شجاعا؟ أم مذنبا؟ أم أنه رجل استرّد إنسانيته من ركام التجارب الهائلة التي يمرّ بها كثيرون من أمثاله، ولا تترك أثرا فيهم؟ ما أعظمك يا ابن آدم، في قوتك، وفي ضعفك، وفي كتمك، وفي بوحك، كائن تسحق الحياة!

من حيث كوني قارئة مدمنة على كتب السيرة الذاتية، وشغوفة بها، فأعدّ سيرة عبد الله إبراهيم عابرة للزمان والمكان يتلمس القارئ فيها سيلا من الأفكار، والمواقف، والتجارب، التي تجعله يتساءل إن كان يعيش تجربة الحياة بشكل صحيح أم ينبغي عليه تغيير نظام حياته، وطريقة تفكيره بعد الاطلاع عليها. هذه سيرة يخرج منها القارئ بغير ما دخل إليها، حتى ليخطر له أنّه صاحبها، وأنه كاتبها، فهي له، أو أنها كُتبت من أجله. أعتقد أنني

تغيرت كثيرا بعد الاطلاع على(أمواج).

جبال رونزوري -أوغندا - قائمة اليسيسكو للتراث في العالم الإسلامي

نقد

الخميسية المؤنسة

تقريب المسافات بين الحكمة والشعر والجمال

د. عبد الله بنصر العلوي

أستاذ التعليم العالي بجامعة فاس

المملكة المغربية

وعياً من الشاعر المالك بأهمية الشعر؛ اختار وظيفته التواصلية ليقرب المسافات بين الإبداع والتجربة، وبين الإنسان والمحيط، وبين العقل والوجدان، وبين القول والجمال.. مستحضرا حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: **(إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة)**. ولأهمية حضور الحكمة في الشعر نشير إلى قول أحمد شوقي: **لا يزال الشعر عاطلا حتى يتزين بالحكمة، ولا تزال الحكمة شاردة حتى يؤويها بيت الشعر.**

هذا الشاعر الذي رسخ حكمة الإبداع بنمط شعري متجدد ارتآه مسلكا بسط فيه أفكاره وفلسفته، إذ كان مداره العام الحكمة باعتبارها سموا في التأمل وصدقا في التجربة وتدبرا في التفكير وتمسكا بالأخلاق الفاضلة. إن الحكمة تعني العلم والعمل مع موافقة الحق سواء بالفطرة أو الاكتساب، وأذكر قول ابن القيم: **(الحكمة فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي)**. ومجالها متعدد في مقاصدها في القرآن الكريم والسنة المحمدية والفلسفة الإسلامية.. والمتصف بهذه الحكمة هو **(الشخص العاقل الذي يرجّح الصواب بما امتلكه من خبرات تجاربه في الحياة)**.

> **لم تكن هذه الحكم مجرد معان تتكرر في كل زمان ومكان طوال أيام السنة بقدر ما كانت استكناها لأعماق الذات واستشرافا لبناء الغد الفاضل بأنساق متجددة ومبدعة**

وشاعرنا الدكتور سالم بن محمد المالك امتلك الحكمة في شعره بتجلياتها من مقومات الهوية العربية والوطنية والإسلامية باحثا عن القيم المثلى في نبل مقاصدها، وداعيا إلى تمثلها والتمسك بها، لكونها نهجا قويما للإصلاح وتجاوز المعوقات.. ومن ثم كان المالك الحكيمَ بفطرته ومكتسبه، وقد اتضح ذلك في إبداع شعره، وفي إدارته المتجددة لمنظمة الإيسيسكو.. وهو في كليهما متميز بتناغم شخصيته الشاعرة مع منظمته الفاعلة.. ويمكن أن نستجلي عالَم هذا التناغم في:

- الصدق في السلوك
- التشبث بالتفاؤل والأمل
- الحرص على انتصار الإرادة

ولتفعيل هذا التناغم في قولنا بحكمة الإبداع والنسق المتجدد ما تحققه أشعار سالم بن محمد المالك من رؤى إنسانية وحضارية التي يمنحها الإسلام للعالمين.

لقد كتب الشاعر القصيدة أحيانا والمقطوعة غالبا.. ولعله في القصيدة كان سعوديا وطنيا وإسلاميا تومض بإشراقات يوم تأسيس المملكة وهو نهر من الحب:

فيه تجلّلت الآمال وازدهرت ... وأشرق الحب، فالتاريخُ في عجب

ويقول عن يوم التأسيس هذا:

بحرٌ من الشوق بي... أهواكِ مملكتي ... وقلبيَ الصبُّ موّارٌ من الوصَبِ
وفيضُ فخرٍ من الأمجادِ يعبُرني ... في زاخرٍ من علاه الشامخِ اللَّجِبِ
فإن ذا يومَك الساري على ألقٍ ... يشدو به العمرُ أنغاماً من الطربِ

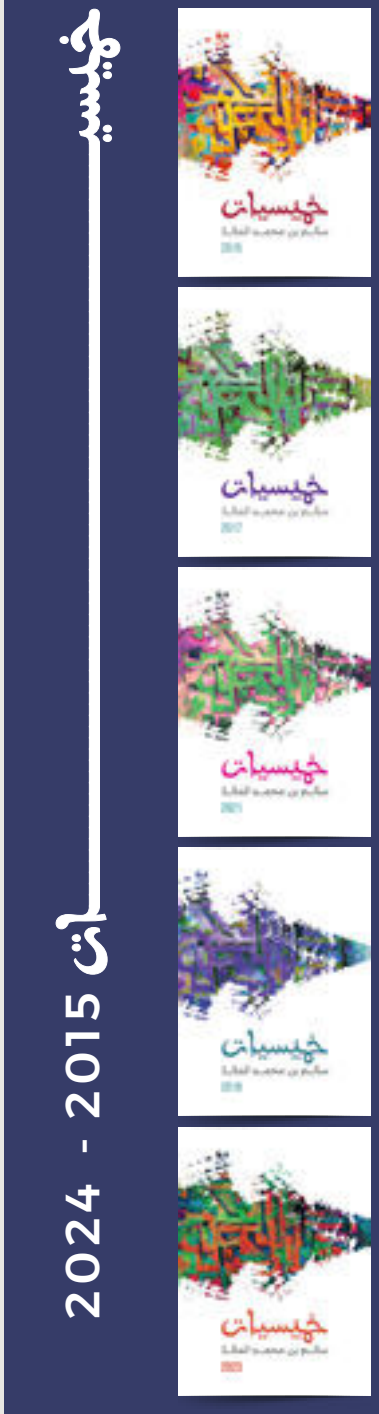

والمالك شاعر يتوسل بنمط القصيدة - في وطنيته - لعلو مرتبتها في الشعرية العربية.

أما المقطوعات الشعرية فلعلها الغالب في أشعاره وقد سماها (خميسيات).

ونجد في تأمل هذا النمط الشعري مسارين اثنين:

أولها: أن خميسيات الشاعر تحيلنا إلى زمن نظمها وهو يوم الخميس، باعتباره يوما مباركا في التراث الإسلامي والإنساني، ورغم أن كلمة الخميس مصغرة عن كلمة الخامس فهي تحمل دلالات عدة، ففي أشعار العرب نجد اسمه **(مؤنس)**، كما نجد ليوم الجمعة اسم **(عَروبة)** ويعني يوم التفاخر.. ومكانة يوم الخميس سواء في دلالته الدينية بصيامه أو بدلالته الاجتماعية كيوم للأفراح، أو بإشارته إلى العدد خمسة الرامز إلى الحفظ والستر، والحماسة، والكمال، والجمال.. مكانة مرموقة ميمونة.

> **كلمة الخميس مصغرة عن كلمة الخامس فهي تحمل دلالات عدة، ففي أشعار العرب نجد اسمه (مؤنس)**

أما ثاني المسارين فيتعلق بكون الخميسيات تتضمن مقطوعة تتحدد أبياتها في خمسة.. والمخمسات أو التخميسات شائعة في الشعر العربي، وهي رغم ارتباطها أحيانا ببيت شعري سابق تضاف إليه ثلاثة أشطر، فإن المالك لم يسلك هذا السبيل في خميسياته لاعتبارات ثلاثة:

- **إثبات شعرية خاصة بتقصيد أبياته.**
- **وحدة الموضوع.**
- **تحديد مجالها الإبداعي المرتبط بحكمة بليغة تقدم نهجا لسبل السعادة التي يحرص الشاعر على أمل تحقيقها..**

وبهذه الاعتبارات تتعدد الخميسيات التي لم نستطع تعدادها لكوننا لا نتوفر على ديوانها بأجزائه العشرة.

ومدار خميسيات المالك في سياقها العام وضع منظومة إنسانية حضارية لتحقيق الآمال وتوفير السلم، وفي وضعه لعناصر منظومته هاته عناوين دالةً تحللها كل الخميسية، نذكر من بينها ما ينير مقاصدها من خلال بعض العناوين مثلا:

- اللغة العربية ستبقى خالدة أبية.
- الوطن ملاذ لك وحضن.
- القرآن دليل لمن أضاع السبيل.
- الأمل يبنيه العمل.
- إهانة الإنسان من ضياع حقه.
- كرامتك تصنعك وعن المساوئ ترفعك
- بناء السلم دراية وحنكة وعلم
- احترام القوانين فرض بكل عِرق ودين
- سابق للخيرات تغنم البركات
- مع كل فجر ينبثق يسرٌ وينطوي عسر
- جمال الحب في احتوائه
- مستقبلك تبنيه بتفاؤلك
- إن نضب الماء روت الجذور الدماء
- الصدقة والدعاء تمحوان الجور والبلاء

> **إن هذه الخميسيات حافلةٌ بمقومات شعرية فائقة في جرس الكلمة وقوة الدلالة وجمالية الصورة، وهذا ما جعلها تتسم بخيال خصب رغم واقعيتها المباشرة، فكانت نصا شعريا متميزا في منحيين اثنين:**

وغير هذا كثيرا وكثير. .. وتحفل هذه العناوين بصنعة شعرية، وإبداع في التصور، وعمق في الرؤية.

إن هذه الخميسيات حافلةٌ بمقومات شعرية فائقة في جرس الكلمة وقوة الدلالة وجمالية الصورة، وهذا ما جعلها تتسم بخيال خصب رغم واقعيتها المباشرة، فكانت نصا شعريا متميزا في منحيين اثنين:

أولهما، أن اللغة المعبرة في انسجامها وتناغمها تجسد سهولة إدراك دلالاتها العميقة، وكأنها - أي اللغة - من السهل الممتنع، فنتأمل خميسيته: المصاعب تمحوها المكاسب

من أيّ بحرٍ أستشفُّ قصيدتي
وأنا أُغيِّرُ كلَّ يومٍ وجهتي

أزنُ الأمورَ فلا تَهُمُّ صعابُه
وألوذُ بالرحمن أرجو عزتي

ما خابَ من صعدَ الجبالَ بعزمِهِ
ما فازَ من قالَ المصاعبُ علَّتي

لا تنظرنَّ إلى الوراءِ فربَّما
فاتَ الأمامُ فقلتَ ضاعت فرصتي

ما كلُّ صعبٍ في الحياة بنقمةٍ
بعضُ الصعاب يُنيرُ حالِكَ ظُلمَتي

يتضح في رؤى الشاعر صدق تجربته وعمق حكمته البليغة في بناء الذات والإنسان فيرسم سبل الخلاص مع كل فجر. يقول في خميسيته

مع كل فجر ينبثق يُسر وينطوي عُسر:

دع عنـــك لَوْمـــي هي الأيـــامُ تطّـــردُ
فاللـــومُ يجـــرح والأوهـــامُ تحتشـــدُ
أَتيـتُ أمشي وفي الظلمـاء أقنعتـي
تقـــولُ حلمـك لا تأسـى لمن حقـدوا
مـــا إن تنهـــدتُ حتـى أسفـرتْ لجـجٌ
مـــن الظـــلام فجـــاءَ الفجـــرُ والرغـــدُ
إنـــي وقفـــتُ مـــع الأيـــام أسألهـــا
فجـاوبتنـــي تفـــاءلْ أيهـــا الغـــرد
يخيـــبُ ظنـــك إن أشبعتـــه كذبـــا
إن الكـــذوب عـــن الأخـــلاق يبتعـــدُ

الشاعر المالك الذي امتلك ناصية الشعر بإبداع حكمته ونسقه المتجدد جعل الشعر من دعائم أنشطة منظمته العتيدة بقيمها الإسلامية والإنسانية:

فكانت فعاليات ومناشط:

- **(الشعراء أجنحة السلام) (2021)**
- **(آفاق القصيدة السيدة) (2022)**
- **(قصائد النور) (2023)**
- **إنشاء (مركز الشعر والأدب) (2025)**
- **إطلاق مسابقة مدن القصائد السنوية والتي تواكب تسمية العواصم الثقافية في العالم الإسلامي (2024)**
- **الاحتفال باليوم العالمي للشعر (2024)**
- **تأسيس ملتقى الايسيسكو للشاعرات والذي يضم ما يتجاوز المائتي شاعرة (2022)**
- **إطلاق مبادرة (عشرون قمراً في سماء القصيدة) لتعزيز حضور الشعر النسائي وذلك بطباعة 20 ديواناً لعشرين شاعرة صدر منها 7 دواوين كمرحلة أولى (2023)**
- **صدور ديوان يواقيت مراكشية ويضم حوالى 40 قصيدة عن مراكش كعاصمة للثقافة 2024**
- **إصدار مجلة الإيسيسكو الثقافية (فصلية) والتي تصدر عن مركز الشعر وتولي الشعر والأدب اهتماماً خاصاً (2024)**

وتتويجا للشعر من أجل صون قضاياه الإسلامية والإنسانية. وما دعوة المالك إلى إنشاء **"ملتقى الشعر في العالم الإسلامي"**، إلا مناسبة للاحتفال بالشعر في كل عام في إحدى عواصم العالم الإسلامي.

وجدير بنا أن نشير في هذا الصدد إلى حضور الشاعر المالك في حله وترحاله حيث ينثر لآلئه ويُشيع درره في كل لقاءاته فيتواصل الشعر بالخطاب لتعمّ الفائدة والمتعة استجلاء لجمالية المكان، ونستحضر هنا قصائده عن جدة ومراكش وسلا وتطوان وطنجة، وكذا في مصر ونواكشوط وغيرها من المدن الإسلامية.

ويتسع مجال حكمة الإبداع ونسقه المتجدد عند الشاعر المالك ليشمل نمطا آخر في كتابه **(مرآة الأيام)** الذي أراده إضافة إلى المكتبة العربية وامتدادا إلى حِكم ابن عطاء الله السكندري وقاصدا وضع حكمة لكل يوم من أيام السنة، راميا أن تكون منارا للصغار وتذكارا للكبار.. ومن ثم تزداد الحكمة تجذرا في رؤية المالك لعالم الإنسان في مختلف معاملاته، نظرا لما حملته من قيم متكاملة ومن ذوق رفيع ومن ثقافة واسعة ومن تجارب متنوعة.

ومنها:

"ما كل من سافر بنى
ولا كل من غامر جنى"

"إن كانت حظوظك مقفرة
فالعسر تليه الميسرة"

"إن اعترضك أحد في الطريق فابتعد عنه
وإن آذاك فاترك الطريق له"

"أول منازل الطيب طيبك مع نفسك
فإن اجتزتها طاب بك غيرك"

"إذا أفشى لك أحد سر غيره
فخبئ قمحك عن لقط طيره"

"سل عن الشئ قبل أن تقتنيه
واحفظ العهد قبل أن تعطنيه"

"صفاء الروح راية من حرير
وصلاح العمل من نقاء الضمير"

ولم تكن هذه الحكم مجرد معان تتكرر في كل زمان ومكان طوال أيام السنة بقدر ما كانت استكناها لأعماق الذات واستشرافا لبناء الغد الفاضل بأنساق متجددة ومبدعة. حدد مسارها سالم بن محمد المالك المدير العام لمنظمة الإيسيسكو الذي طور هيئاتها ونوع اهتماماتها.. بفضل هذه الحكم المالكية التي كانت حكمة الإبداع لا تراوح نسقه المتجدد الذي أسسه عبر مسارات كانت المرأة والشباب أسّين للاستثمار من أجل مستقبل أفضل للعالم الإسلامي تتحكمه بنيات الابتكار ومجالات الذكاء لترسيخ استراتيجية لتطوير التعليم وتشجيع المبادرات لخلق فرص لحياة أفضل قوامها السعادة.. ولا سعادة بدون حكمة، ولا حكمة بدون إبداع، ولا تألق إلا بجهود المالك الذي نحتفي به فاعلا ومفكرا ومبدعا في نشر المرامي النبيلة التي تتطلع إليها منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة ودعمها بحسن تسييره وجليل تدبيره.

وأختم بأبيات من خميسيتي مكرمنا الدكتور المالك.

الأولى بعنوان: **جمال الحب في احتوائه**

رأيتُ العمرَ يمضي في خطاهُ ... فيأسِرُني الجمالُ بما احتواهُ
عشقتُ وفي هوى قلبي سؤالٌ ... أقلبي يستهيمُ بمن جفاهُ؟
فإن كانت نجومُ الكون مِلكي ... فتكفيني حياة في هواهُ
أليس العاشقون لهم حياةٌ ... وأسمى الحبِّ ما تروى رؤاهُ
فكم حُباً ظننا فيه شوكاً ... وكم شوكٍ توَرَّد مِن صفاهُ

والثانية بعنوان: **التكريم بداية طريق للتقييم**

إن فزتَ بالتكريمِ فاشكرْ خالقا ... فهو الذي أولاك حقاً فائقا
لا تنسَ من نهضوا إليك سواعداً ... فالشكرُ يمضي بالوضاءةِ باسقا
إياك أن تغترَّ يوماً واحترمْ ... فالخلقُ يرفعُ بالتواضعِ واثقا
إنْ قدرتك الناسُ فهي مكانةٌ ... حافِظْ عليها مستطيباً حاذقا

وتعد هذه الأبيات أقنوما لكل تكريم، وقدوة مثالية لتقدير أهل الفضل والعلم والحكمة.

د. سعد البازعي

"نعم قد يخسر الشعر في الترجمة، لكنه يكسب أيضاً"

وقع في عشق اللغة والأدب العربي والانجليزي، بل والآداب المكتوبة بلغات أخرى، وقرر أن يتبع شغفه فتخرج في كلية الآداب قسم اللغة الانجليزية بجامعة الملك سعود، ثم شد رحاله تجاه أمريكا متخصصاً في آداب اللغة الانجليزية حاصلاً على درجتي الماجستير والدكتوراة.

عاد فور حصوله على الدكتوراة لبلاده المملكة العربية السعودية حيث واكب حركة الحداثة في المملكة باحثاً وناقداً ومترجماً وأديباً، وفاعلاً في المشهد الثقافي السعودي خاصة في فترة الشد والجذب والمد والجزر بين المدرسة التقليدية ومدرسة الحداثة.

ربطته صلات خاصة وحوارات ومواقف أدبية ونقدية بالعديد من الأسماء المهمة على مستوى العالم العربي ليصبح جزءاً مؤثراً في تشكيل المشهد الثقافي والذاكرة الجمعية الأدبية.

ظل اسمه ومساهماته حاضرةً على مدى سنوات من العطاء الذي لم ينقطع والحضور المؤثر الذي ظل سمة لازمة للدكتور البازعي فهو ولا ريب أحد أهم المثقفين والمبدعين في المملكة العربية السعودية بل وفي العالم العربي.

رفد المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات في النقد الأدبي والشعري والروائي وترأس تحرير عدد من المجلات بالإنجليزية إضافة إلى الترجمات المهمة من اللغة الانجليزية والتي قدمها للمكتبة العربية

التقته مجلة الإيسيسكو الثقافية في هذه المساحة فكانت هذا الحوار

حاورته: رئيسة التحرير

الشعر بالنسبة لي كان وما يزال وأظنه سيستمر؛ شغفاً فوق أن يكون تخصصاً أكاديمياً

في الخامسة والعشرين من عمرك غادرت المملكة لأمريكا يافعاً محملاً بالآمال، كيف كانت هذه التجربة؟

كانت تجربة غنية بطبيعة الحال،والغنى الذي أشير إليه استمدّه دون شك من مهادي المباشر وغير المباشر، فالصحراء حاضرة في حياتي وثقافتي الخاصة، كما هي في حياة الكثيرين. الغنى نجم عن مواجهة الاختلاف الثقافي والاجتماعي والعلمي أثناء الإقامة والدراسة في الغرب. وككل اختلاف كان ثمة صعوبات من كل نوع. فمع أنني ذهبت متخصصاً في آداب اللغة الإنجليزية فإن وجودي بين أهل تلك الآداب ودراستي العليا لها في معاهدهم وضعتني في تجربة أكاديمية مغايرة.

تصفك ويكيبيديا بالناقد والمفكر والمترجم السعودي
وتسميك الصحافة الأديب والكاتب والأكاديمي والصحفي
أي التوصيفات هي الأقرب إليك ولماذا؟

أنا مختص بالدراسات النقدية الأدبية ويظل النقد الأدبي مكوناً أساسياً بالنسبة لي، لكني تحولت مع الزمن إلى قضايا الفكر ثم الترجمة،فعملي في هذه الحقول مجتمعة هو الأقرب لوصف هويتي العملية والثقافية. عملي في الصحافة والإعلام كان مهماً أيضاً لكنه كان عرضياً أو مؤقتاً على ما بين نشاطي في الحقل الثقافي عامة وحقل الإعلام من وشائج.

كنت عضواً في مجلس الشورى السعودي ما مدى المساحة المسموح بها في تقديرك بين الأدبي والسياسي؟

لم تكن هناك علاقة تذكر بين اختصاصي بالأدب وعمل مجلس الشورى. كان للثقافة والإعلام حضورهما في المجلس لكن من زاوية عامة تتصل بالمؤسسات والسياسات والتشريعات،

وبمجرد انضمامي للمجلس سارعت لاختيار اللجان المعنية بتلك الشؤون لقربها من مجال اهتمامي وخبرتي.

أما المسموح به فكثير دون شك، لكن يظل من الضروري العمل في حدود الضوابط التي حددها نظام المجلس وكذلك القواعد العامة المرعية في المجتمع والشورى صورة مصغرة لذلك المجتمع وإن كان نخبوياً إلى حد بعيد، فهو تجمع لخبرات وتخصصات شائعة. نظام المجلس يسمح له بالاعتراض على بعض قرارات الحكومة والاحتكام إلى الملك في حال الاختلاف بينهما.

أما عن عمل المجلس فعلى الرغم من أن لدى البعض انطباعاً بأن المجلس هامشي، فإن ذلك ليس انطباعاً صحيحاً، لكنه ليس خاطئاً تماماً أيضاً، فالمجلس مؤثر لكن ليس بالصورة التي يتوقعها أو يتمناها كثير من أفراد المجتمع السعودي وأنا أحدهم. للمجلس صلاحيات كثيرة لكنه لا يستفيد منها كما ينبغي.

صحيح أننا نترك الكثير من الشعر حين نترجمه، لكن بالمقابل تكسب القصيدة شيئاً جديداً بدخولها في أفق لغة أخرى، شريطة أن يكون المترجم متمكناً من اللغتين

ترأست تحرير عدد من المجلات بالعربية والإنجليزية كيف كانت التجربة؟

المجلات العربية التي رأست تحريرها كانت دوريات ثقافية أو أكاديمية وليس بالمعنى الإعلامي للمجلة. صحيفة رياض ديلي الصادرة بالإنجليزية والتي رأست تحريرها كانت إعلاماً فعلياً ولكنها لم تدم لأني اصطدمت بسرعة بقيود العمل الإعلامي. واجهت قيود الإعلام بصورة مباشرة واضطررت في النهاية للانسحاب إلى عالمي الأثير، عالم الأدب والنقد والفكر.

الشعر يمكن سماعه وإنشاده والتغني به، بينما الرواية تقرأ أكثر مما تسمع وبالطبع لا يتغنى بها

المشهد الثقافي والأدبي السعودي يتغير ويتطور بشكل لافت خلال السنوات الأخيرة

ما هي قراءتك لهذه التحولات؟

هي تحولات إيجابية في مجملها، غنية بتنوع العطاء وتجدد صوره، لكن المشهد ككل المشاهد مليء بالغث والسمين، ومثل معظم المشاهد أيضاً يطغى الغث. أحدثت وزارة الثقافة أثراً عميقاً في ذلك المشهد باستحداث هيئات تعنى بجوانب من الحياة الثقافية كانت مهمشة (المسرح والموسيقى مثلاً) واستطاعت مبادرات كالشريك الأدبي أن تكون علامة فارقة في تاريخ الحياة الأدبية والفكرية، لكن أبعاد ذلك التأثير لن تتضح إلا بعد زمن. وتبقى الترجمة إنجازاً كبيراً لتلك التحولات فأعمال كثيرة تنجز على هذا المستوى من العربية وإليها.

إثنينية سعد البازعي تجربة خاصة تتقاطع مع جزء أصيل من تراثنا الثقافي والأدبي حدثنا عنها قليلاً

الاثنينية لقاء نصف شهري هو امتداد لسلسلة طويلة من المساعي لعقد حلقات نقاش حول قضايا الفكر والأدب والثقافة بصفة عامة. تعددت صور ذلك اللقاء منذ بدأ في تسعينيات القرن الماضي في النادي الأدبي بالرياض باسم الاثنينية أيضاً ثم عادة بصور شتى منها (الملتقى الثقافي) الذي امتد لعدة سنوات والآن رأيت أن أواصل المساعي للوصول إلى لقاء أطرح فيه بعض المسائل التي أرى أهميتها على جمهور مثقف يرغب في التحاور حول تلك المسائل. آمل أن يستمر اللقاء بجذب الراغبين في مثل تلك الحوارات.

ما الذي يمثله الشعر لك وقد أفردت له عدداً من دراساتك مثل أبواب القصيدة: قراءات باتجاه الشعر، جدل التجديد: الشعر السعودي في نصف قرن، لغات الشعر، رهان الشعر، القصيدة الشعبية وغيرها؟

الشعر بالنسبة لي كان وما يزال وأظنه سيستمر شغفاً فوق أن يكون تخصصاً أكاديمياً. التخصص ساعدني على توسيع معرفتي بالشعر في صوره العربية والعالمية وقد درّسته طوال عملي في الجامعة، أي حوالي ربع قرن، وأقصد هنا الشعر الأنغلو أمريكي والأوروبي، لكني ظللت أكتب وأحاضر حول الشعر العربي في المقام الأول لأنه الأهم بالنسبة لي. لكني لا أراني قريباً من تجاوز التخوم من الشعر الذي أحب فما بالك بالشعر عامة؟

يتكرر هذا السؤال ولكنني أحب أن أعيده لأوثق هذه الإجابة من أديب ومتخصص وعاكف على هذا المشروع لسنوات

> **القصيدة الواحدة ليست كلها شعر، منها ما هو عادي ومنها ما هو رفيع في صوره وإدهاشه. ذاك هو ما يجب على الترجمة أن تسعى إليه**

ما هي محاذير ترجمة الشعر؟

ما الذي نتركه وراءنا عندما ننقل نصاً شعرياً إلى لغة أخرى؟

لاشك الشعر بالنسبة لي كان وما يزال وأظنه سيستمر شغفاً فوق أن يكون تخصصاً أكاديمياً. إننا نترك الكثير من الشعر حين نترجمه، لكن لم لا نسأل عما نضيف إلى الشعر أيضاً حين نترجمه؟ قليلون هم الذين يتساءلون عما تكسب القصيدة حين تترجم، ومن المؤكد أنها تكسب شيئاً جديداً بدخولها في أفق لغة أخرى، شريطة أن يكون المترجم متمكناً من اللغتين. لقد أضاف مترجمو رباعيات الخيام إلى ما ينسب للخيام من الرباعيات، مثلما أضاف مترجمو هوميروس والمتنبي ودرويش إلى ما ترجموا لهم. نعم قد يكون الفاقد أكبر، وهو الأقرب، لكن لكي يكون السؤال منصفاً يجب أن ننصف الترجمة والمترجمين فبدونهم لم نكن لنعرف شعر العالم. نحتاج فقط أن نتذكر أن ما نقرؤه في لغتنا ليس نسخة من النص المترجم مطابقة للأصل مهما بلغت قدرات المترجم، وإنما هو نص مقارب له. ما ننقله من القصيدة هو بعضها أو الكثير منها مضافاً إليه ما تحمله اللغة الجديدة من إيحاءات يستحيل تكرارها لاختلاف اللغات والثقافات والتجارب الإنسانية. أقصد أن القصيدة حين تترجم فإنها تصير قصيدة جديدة ليس بالكامل طبعاً وإنما بنسبة عالية. أحد الشعراء الفرنسيين المعاصرين قال إننا لا نترجم القصيدة لأنه شكل أدبي متعين في لغته، لكننا نترجم الشعر الذي هو إدراكنا لما تسعى القصيدة أن تقوله، فالقصيدة ليست الشعر، هي شكل متعين له بدليل أنه يتمظهر في قصائد كثيرة ولغات كثيرة وحتى القصيدة الواحدة ليست كلها شعر، منها ما هو عادي ومنها ما هو رفيع في صوره وإدهاشه. ذاك هو ما يجب على الترجمة أن تسعى إليه.

كان للرواية نصيبها من رفدك القرائي والنقدي

كيف تنظر لكثرة المنتج الروائي وانصراف القراء خاصة الشباب منهم إلى الرواية على حساب الشعر بشكل واضح؟

للرواية علاقة وثيقة بالتطورات الثقافية والمجتمعية المعاصرة، فهي ابنة المدينة بامتياز. ففي حين ينشغل الشعر بالتجارب الذاتية للشعراء تتجه الرواية غالباً إلى المجتمع والتاريخ فيجد الناس بعداً مختلفاً عن هموم الشاعر ورؤيته/ها الخاصة للعالم. ومع أنني أقرب إلى الشعر فقد وجدت أن من المهم متابعة الإنتاج الروائي لأهميته وما فيه من متعة قرائية أيضاً. هذا فضلاً عن أن صلتي بالرواية تعود إلى مراحل مبكرة من علاقتي بالقراءة، وهنا نقطة افتراق قوية بين الشعر والرواية: الشعر يمكن سماعه وإنشاده والتغني به، بينما الرواية تقرأ أكثر مما تسمع وبالطبع لا يتغنى بها.

السنوات الأخيرة شهدت حصولك على عدد من الجوائز المهمة كما تتولى شخصياً رئاسة بعض الجوائز وعضوية أخرى

ما أهمية الجوائز في إثراء الحركة الثقافية؟ وهل هي منصفة ومحايدة؟

لا يمكن أن نبالغ في الحديث عن أهمية الجوائز فهي حوافز للمزيد من العطاء. هذا على الرغم مما يحيط بها من إشكاليات سواء تمثلت بالتحيز في منحها أو الدوافع في إنشائها ابتداءً، فهذه قد يكون أثرها مناقضاً للهدفالمفترض في وجودها. تذهب الجوائز أحياناً إلى من لا يستحقها وتخدم أهدافاً سياسية أو شخصية أو اجتماعية أو غير ذلك. لكن مهما قلنا في عيوب الجوائز فإنها في المجمل تظل مهمة. ومن المهم أن نتذكر أن الجوائز ليست دائماً واضحة أو ذات طابع احتفالي، فقد تكون معنوية في صورة تقدير أو ثقة أو مجرد إشادة. كل تلك جوائز أيضاً: المقالة النقدية التي تكتب حول روائي أو شاعر أو مسرحي جائزة وإتاحة الفرصة للكاتب أن يدير مؤسسة ثقافية جائزة وأن يدعى إلى احتفال وتقال في حقه كلمة تقدير جائزة، بل أن يجرى معك حوار ثقة برأيك جائزة. كل تلك وغيرها جوائز.

شعـر

سيرة ناقصة لأصدقائي

محمد عبد البارىء
السودان

سالوا و لا ماءَ لا مرآةَ وانعكسوا
وباسمهم في الأعالي صلصلَ الجرسْ

مؤذنونَ قدامى كلما التبست صلاتُهم
أجلّوا التكبيرَ والتبسوا

وكلما فُتنت بالريحِ أنفسُهم
تقمّصوا فكرةَ الأشجارِ وانغرسوا

الداخلون إلى المعنى علانيةً
ودونهم تسقطُ الأبوابُ والحرسْ

مطابقونَ لغاباتِ الخيالِ فمذ
سميتُهم بينابيعِ الهوى انبجسوا

من أين أُمسكهم ؟! من فرطِ ما اتسعت
أسماؤهم حفظوا الأسماءَ ثم نسوا

مجلّلون بما للهِ من مطرٍ
تقول صحراؤهم: حاولتُ...ما يبسوا

و ساخنونَ لأن القلبَ أوقفهم
على نوافذهِ الحمراءَ فاحتبسوا

تكلموا قبل تاريخِ الشفاهِ معي
وكان يسجنني في نفسي الخرَسْ

يمشون للوترِ المشدودِ فيّ كما
تمشي لمكةَ في الموّالِ أندلسْ

مروا خفافاً على ما شفّ من لغتي
ثمّ اطمأنوا إلى الأعماقِ فانغمسوا

فكرتُ في لوحةٍ أولى تُلوّنُهم :
مقهىً شرودي وهم في بابهِ جلسوا

خذني أيا هوسَ الأشياءِ منكَ إلى
فردوسِ غُربتِهم أرجوكَ يا هوسْ

خذني إلى جبلِ العصيانِ أنصرُهم
في يومِ يشتبكُ الطوفانُ و اليبسْ

قد آن أن تخرجَ الراياتُ من دمِنا
ولا تعودَ إلى خيّالها الفرسْ

سنُسقطُ الوقتَ إن الوقتَ أتعبنا
جدا وما تعبَ الكُهانُ والعسسْ

نأتيهِ من جهةِ الزلزالِ عاصفةً
وعن أذى زهرةٍ في الروحِ نحترسْ

خذني لتكبرَ في الجدرانِ صرختُنا
حدَ الرئاتِ التي يمتصُها النَفَسْ

ضقنا فمن حين ما جُنّ البكاءُ بنا
ونحنُ في المأتمِ الكونيّ نُلتمسْ

لأننا كالحواريين أفئدةً
يندى لألفِ يسوعٍ حزنُنا السلِسْ

مثقّبون بما يكفي ليسطعَ من
هذي الثقوبِ على أيامِنا القبسْ

لا نعرفُ المنتهى من يومِ فجّرنا
شعراً و حريةً هذا الهوى الشرسْ

تقاريـــر

مكـــــاتب الإيسيسكو الإقليمية:

منارات إشعاع حضاري عابر للقارات

مكتب باكو.. نموذج طموح في الانفتاح نحو آسيا الوسطى

د. سالم بن هلال الحبسي

مدير الأمانة العامة للجان الوطنية والمؤتمرات - الإيسيسكو

(سلطنة عمان)

في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم، تواصل منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) تعزيز موقعها كمنظمة دولية ذات رسالة حضارية وإنسانية شاملة، تقوم على نشر المعرفة، وتكريس التنوع الثقافي، وبناء القدرات. ومن بين آلياتها الحديثة لتوسيع دائرة التأثير وتعميق الحضور الميداني، تأتي استراتيجية إنشاء المكاتب الإقليمية، التي أصبحت تمثل امتدادًا ديناميكيًا لرؤية الإيسيسكو ورغبتها في الاقتراب أكثر من الدول الأعضاء ومجتمعاتها، واستيعاب تنوعها وتحدياتها. المكاتب الإقليمية: إدارة لامركزية لتعزيز الحضور الإقليمي والدولي.

لم تعد المكاتب الإقليمية في الإيسيسكو مجرد وحدات تنفيذية، بل تحوّلت إلى مراكز استراتيجية متعددة الوظائف، تسهم في نقل التوجهات العامة للمنظمة إلى سياقات محلية وإقليمية متنوعة. ومن خلال هذه المكاتب، تتمكن الإيسيسكو من تبني نهج لامركزي مرن، يسمح بالاستجابة السريعة للاحتياجات الميدانية، ويدعم تنفيذ البرامج والمشاريع بأسلوب تشاركي يعكس التزامات الدول الأعضاء.

تمثل استراتيجية إنشاء المكاتب الإقليمية امتدادًا ديناميكيًا لرؤية الإيسيسكو

حيث أنشأت المنظمة ثلاثة مراكز إقليمية منذ نشأتها وهي: مركز الإيسيسكو الإقليمي في الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة، مركز الإيسيسكو الإقليمي في طهران بالجمهورية الإسلامية الإيرانية، وحديثا تم إنشاء مركز الإيسيسكو الإقليمي في باكو بجمهورية أذربيجان. بالاضافة إلى مراكز متخصصة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في عدد من الدول الأعضاء.

تحوّلت المكاتب الإقليمية إلى مراكز استراتيجية متعددة الوظائف تسهم في نقل التوجهات العامة للمنظمة إلى سياقات محلية وإقليمية متنوعة

مكتب باكو: بوابة استراتيجية نحو شرق العالم الإسلامي

تأسس مكتب الإيسيسكو في باكو - عاصمة جمهورية أذربيجان - ضمن رؤية متكاملة تسعى من خلالها الإيسيسكو إلى فتح آفاق تعاون جديدة مع الدول الإسلامية في آسيا الوسطى، وتكريس حضور ثقافي وتربوي وعلمي نوعي في هذه المنطقة ذات الأهمية الجيوسياسية والحضارية.

وتتميز أذربيجان بكونها حلقة وصل بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب، حيث تلتقي في جغرافيتها حضارات متعددة، مما يجعلها موقعًا استراتيجيًا ملائمًا لنشر رسالة الإيسيسكو في الإقليم، وخلق منصات حوار وتعاون بين الثقافات. وبالرغم من حداثة تأسيسه، فإن المكتب يضع أمامه أهدافًا طموحة ليكون نموذجًا يحتذى في إدارة البرامج الإقليمية وتوطين العمل الثقافي والتعليمي والتقني بما يخدم الدول الأعضاء ويعزز التكامل فيما بينها.

> **تميز أذربيجان بكونها حلقة وصل بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب جعلها موقعًا استراتيجيًا ملائمًا لنشر رسالة الإيسيسكو**

منطلقات استراتيجية ومهام محورية

يسعى مكتب باكو إلى تحقيق عدد من الأهداف الاستراتيجية التي تصب في صلب خطة الإيسيسكو للمدة من 2026-2030، وفي مقدمتها:

- تعزيز التعاون مع الدول الأعضاء في آسيا الوسطى عبر مبادرات مشتركة في التعليم، وحماية التراث، وتمكين المرأة والشباب.
- إطلاق مشاريع بحثية وعلمية بالتعاون مع الجامعات ومراكز الدراسات في أذربيجان والدول المجاورة، تهدف إلى النهوض بالبحث العلمي التطبيقي.
- تدريب الكوادر التربوية والثقافية على أدوات الابتكار والرقمنة، ومرافقة التحول الرقمي في المؤسسات التعليمية.
- تنظيم ندوات ومنتديات فكرية لتعزيز الحوار بين الثقافات والأديان، وتكريس خطاب التعايش والتفاهم الحضاري.

شراكات فاعلة وتكامل مؤسسي

منذ انطلاقته، حرص المكتب على إقامة روابط قوية مع الوزارات الوطنية، والمؤسسات الجامعية، والمنظمات الإقليمية ذات الصلة، سعيًا لبناء شراكات استراتيجية طويلة الأمد. كما يعمل المكتب بتنسيق وثيق مع الأمانة العامة للجان الوطنية والمؤتمرات، مما يضمن اتساق برامجه مع أولويات الدول الأعضاء ومرونة التنفيذ الميداني.

ويعكف المكتب حاليًا على إعداد خطة تشغيلية متناغمة مع خطة المنظمة 2026-2030 تشمل إطلاق سلسلة من المشاريع في مجالات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ودعم التقنيات التعليمية الحديثة، وتوثيق التراث الإسلامي في القوقاز، وتنظيم دورات تدريبية للمربين والمبدعين الشباب.

دور محوري في بناء الجسور الحضارية

تعد منطقة آسيا الوسطى من أغنى المناطق من حيث التنوع العرقي واللغوي والثقافي، وهي أيضًا منطقة استراتيجية تضم العديد من الدول ذات الأغلبية المسلمة، ما يجعلها بيئة مثالية لتعزيز رسالة الإيسيسكو في الحوار والتبادل والتطوير المعرفي. ومن هنا، فإن مكتب باكو ليس مجرد مركز إداري، بل هو أداة لصياغة شراكة حضارية ممتدة بين الإيسيسكو وهذه الدول، تقوم على مبادئ الإنصاف، والاحترام المتبادل، والتنمية المشتركة.

> **يسعى مكتب باكو إلى تحقيق عدد من الأهداف الاستراتيجية منها تعزيز التعاون مع الدول الأعضاء في آسيا الوسطى**

ختامًا:

في عالم يعاد فيه تشكيل العلاقات الدولية على أسس أكثر تنوعًا وتعدديّة، تصبح مكاتب الإيسيسكو الإقليمية بمثابة محاور تأثير ناعم واستراتيجي، تسهم في إعادة تعريف دور المنظمات الدولية في التنمية البشرية وبناء السلام. ويمثل مكتب باكو أحد أبرز هذه النماذج، بما يمتلكه من رؤية مستقبلية، وطاقات واعدة، وشراكات ناضجة، ما يؤهله ليكون منارة إشعاع ثقافي وتربوي وعلمي عابر للقارات، تلبي طموحات شعوب المنطقة وتعزز مكانة الإيسيسكو كبيت خبرة دولي رائد.

متحف محمد محمود خليل وحرمه -جمهورية مصر العربية - قائمة الإيسيسكو للتراث في العالم الإسلامي

أثـــر الاستشـــــراق في حفـظ ونقـل الثقافـة والتـراث العربـــي

جهـــود المستشرقيـــن فـي المخطوطـات والتـرجمـة وكـراسـي اللغـــة

فهـد علـي المعمـري
باحث في التراث والأدب العربي
الإمارات

إن الحديث عن موضوع الاستشراق والمستشرقين لهو حديث ذو شجون، كما أنه حديث ثري جدا، فقد عكفت هذه الفئة على دراسة التراث والأدب العربي دراسة شاملة وتتبعت مواضعه واستنزفت من أجل ذلك المال والجهد والوقت، ولم يدخروا وسعا في تحقيق مآربهم وغاياتهم في هذا المنحى الذي كان ولا يزال مؤثرا في تاريخ الأدب العربي.

لقد لعب الاستشراق والمستشرقون دوراً في خارطة الثقافة والتراث والأدب العربي بشكلٍ بارز من خلال جمع واقتناء المخطوطات العربية بشتّى الوسائل المتاحة، ومن ثم تحقيق هذه المخطوطات، ثم التأليف في تاريخ وأدب العرب، من خلال إنشاء كراسي اللغة العربية في معظم الجامعات الأوربية، ويشمل ذلك جميع اللغات السامية من خلال اللغات الهندية والفارسية والتركية والعربية، ولكننا سنقف عند حدود الأدب العربي ولغته عند جماعة الاستشراق والمستشرقين.

لعب الاستشراق والمستشرقون دوراً في خارطة الثقافة والتراث والأدب العربي بشكلٍ بارز من خلال جمع واقتناء المخطوطات العربية

في بداية الحديث لابد لنا أن نعرّف بالاستشراق والمستشرقين، ما هو الاستشراق؟ ومن هم المستشرقون؟ كذلك نتعرف على دوافعهم المتنوعة عبر رحلة الاستشراق وغير ذلك، ومنها الدوافع العلمية، والسياسية والدينية والاقتصادية، وهل كانت هذه الجهود خالصة للعلم أم مرتبطة بأهداف أخرى؟

إن الهدف الذي نريد استخلاصه في هذا البحث يتمثل في أربع نقاط هي:

- **توثيق دور المستشرقين في حفظ التراث العربي.**
- **إبراز جهودهم في نشر المخطوطات وتحقيقها.**
- **تحليل أثرهم في إنشاء كراسي اللغة العربية.**
- **تقييم ترجماتهم للتراث العربي.**

ثم ننتقل إلى محاور البحث، ونستخلص خمسة محاور هي:

المحور الأول: الاستشراق بين الدافع العلمي والهدف السياسي.

المحور الثاني: جهود المستشرقين في المخطوطات العربية عبر اقتنائها وفهرستها وتحقيقها ومن ثم نشرها، والتعرف على قيمة مساهماتهم العلمية في هذا الشأن.

المحور الثالث: الإنتاج التأليفي للمستشرقين في الثقافة العربية، عبر دراساتهم المستفيضة عن التاريخ والجغرافيا والأدب والشعر واللغة والحديث والقرآن والتفسير والفقه والتصوف، وغيرها من العلوم المعرفية عند العرب، إضافة إلى أبرز المؤلفات الاستشراقية وتأثيرها.

المحور الرابع: كراسي اللغة العربية في الجامعات الغربية، ويشمل نشأة هذه الكراسي وتطورها، وأبرز المستشرقين الذين تبوؤا هذه الكراسي، وأثر هذه الكراسي في نقل المعرفة.

المحور الخامس: الترجمة ودورها في نقل الثقافة العربية إلى الغرب، ونأخذ المترجم جيرارد كريموني نموذجا.

ثم نصل إلى الخاتمة، لنستخلص رأينا في أثر الاستشراق بين الإيجاب والسلب، ثم نوصي لمن يريد دراسة الاستشراق والمستشرقين ببعض النصائح حتى لا يقعوا في شراك بعض المستشرقين.

في البداية نعرّف بمصطلح الاستشراق، وهو مصطلح يطلق على دراسة الغرب للشرق، وبالأخص العالمين العربي والإسلامي، ويشمل كل ما كتبه الباحثون الأوربيون ثم لاحقا ما كتبه الأمريكيون، عبر جوانب متعددة شملت اللغة والدين والتاريخ والطب والفلسفة والجغرافيا، وقد بدأ عصر الاستشراق في زمن العصور الوسطى، إلّا أنه بلغ ذروته في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي، خاصة مع توسع الاستعمار الأوربي في البلدان العربية والإسلامية.

أما المستشرقون فهم العلماء الغربيون من أوروبا وأمريكا الذين اهتموا بدراسة الحضارات الشرقية وخصوصا الحضارة العربية والإسلامية، وتعلموا لغاتها، وحققوا مخطوطاتها، وكتبوا عن تاريخها وثقافاتها، وكان البعض موضوعيا منصفا، والأكثر كان مدلّسا متحاملا يغيّر الحقائق، ويزيّف الواقع ليصل إلى مآربه وغاياته، مثال على ذلك المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون والألمانية زيغريد هونكة وهما من

طبقة المنصفين والموضوعيين بكتاب الأول حضارة العرب وكتاب الثانية شمس العرب تسطع على الغرب، أما المستشرق اليهودي الإنجليزي صمويل مرجليوت فكان من عتاة المتحاملين على الثقافة العربية بكل علومها ومعارفها.

نعود إلى البدء، ونتحدّث عن المحاور الخمسة التي تطرقنا إليها قبل قليل، والتي تمثل خارطة عمل المستشرقين في تراث وثقافة الأدب العربي، حيث تعددت دوافع المستشرقين عبر حركة الاستشراق المنظمة، ففي المحور الأول الخاص بدوافعهم نحو الاستشراق، نراهم ينجرفون نحو تيّار العلم والمعرفة والثقافة العربية التي أبهرتهم، وكشفت عن حضارة عريقة لها أصول وفروع ضاربة في أغوار التاريخ وممتدة إلى أكثر من عشرة قرون من الزمان، فقد عكفوا على البحث عن كنوز العرب والمسلمين عبر ملايين المخطوطات التي أنجزها العرب لتشهد على عراقة الحضارة وسمو العلوم والمعارف التي دوّى صداها في مشارق الأرض ومغاربها، ثم يأتي الدافع الأكبر والأهم والأخطر؛ وهو ذلك السم الذي يُدَس للمريض على أنه الترياق الناجع للشفاء وهو الدافع الديني، ومن هذا الدافع انبثقت حركة أخرى خُلِقَت من رحم الاستشراق وهذه الحركة عرفت بـ (التبشير) ونضرب عنها صفحا فهي ليست ضمن حديثنا، ولكنها إحدى نتاجات الدافع الديني عند المستشرقين، وكان الغرض من هذا الدافع هو التعرّف على الدين الإسلامي والقرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ثم الطعن فيه، والعمل على زعزعة العقيدة خاصة عند المسلمين الجدد في بلادهم، وثنيهم عن الدين الإسلامي، أما الدوافع السياسية والاقتصادية فليس حديثها هنا.

> **كان بعض المستشرقين موضوعيين منصفين، مثل المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون والألمانية زيغريد هونكة**

أما المحور الثاني وهو يُعنَى بجهود المستشرقين في المخطوطات العربية، فإن جهودهم في مجال المخطوط العربي تعد من أبرز ما قدموه في حقل الدراسات الشرقية، وكان لهم دور كبير في جمع، وفهرسة، وتحقيق، وترجمة كثير من المخطوطات التي لولاهم ربما ضاعت، أو عبثت بها يد الزمان فغابت، أو بقيت حبيسة الأرفف، وأبرز هذه الجهود:

- جمع المخطوطات العربية واقتناؤها، فقد قام المستشرقون منذ القرن الثامن عشر الميلادي بجمع آلاف المخطوطات العربية من المشرق والمغرب، ثم اقتناء المخطوطات أينما وجدوها في الأسواق وعند العامة والخاصة ومن المكتبات، وأينما وصلت أيديهم لها، ونقلت في تهجير منظّم إلى مكتبات أوروبا مثل مكتبة كمبردج وأكسفورد ببريطانيا ومكتبة برلين بألمانيا ومكتبة الفاتيكان بإيطاليا ومكتبة ليدن بهولندا والمكتبة الوطنية بباريس، وغيرها من مكتبات أوروبا، ويعد المستشرق الفرنسي سيلفستر دي ساسي في طليعيه من شجعوا جمع المخطوطات ونشرها كما كان في طليعة المستشرقين كذلك الذين دعوا إلى إنشاء كرسي اللغة العربية في الجامعات الأوربية.
- فهرسة المخطوطات وتصنيفها، وقد قام المستشرقون بفهرسة عشرات الآلاف من المخطوطات وتصنيفها حسب الموضوعات والمؤلفين، وبعض هذه الفهارس لاتزال مرجعا أساسيا للباحثين إلى يومنا هذا، ونأخذ نموذجا من هذا وهو كتاب تاريخ الأدب العربي للمستشرق الألماني بروكلمان الذي يعد من أهم المراجع التي رصدت الإنتاج الفكري العربي

من أهم الترجمات كتاب القانون في الطب للشيخ الرئيس ابن سينا، وكتاب الحاوي في الطب للرازي، وكتاب ألف ليلة وليلة، وكتب ابن رشد في الفلسفة

والإسلامي، ويعد فهرسا رئيسيا للباحثين عن أسماء ومواضع المخطوطات العربية والإسلامية، وكذلك المستشرق ميخائيل شويتكة الذي قام بفهرسة المخطوطات العربية والإسلامية في مكتبة برلين.

- تحقيق المخطوطات ونشرها، حيث قام المستشرقون بتحقيق العديد من الكتب التراثية العربية ونشرها بأسلوب علمي يتضمن المقارنة بين النسخ المختلفة، ووضعوا مقدمات نقدية ودراسات عن المُؤَلِّف والمُؤَلَّف، إلّا أن الكثير من الخطأ والتصحيف والتحريف قد وقع في كثير من أعمالهم التي حققوها، وغيروا كثيراً من عناوين المخطوطات عند طباعة الكتاب مثل كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت والعنوان الأصلي للمخطوط هو تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطّانها من العلماء من غير أهلها وورادها، كذلك طبع المستشرق الفرنسي شارل بيلا كتاب البغال للجاحظ، على أنه كتاب قائم ومستقل بذاته، ولكنه جزء من كتاب الحيوان، حيث استل منه قسم البغال، وحققه ونشره على أنه واحد من كتب الجاحظ، ومن هذا كثير في ميزان المستشرقين.
- ترجمة النصوص، حيث تمت ترجمة نصوص كثيرة من العربية إلى اللاتينية واللغات الأوربية، وبذلك هيمن المخطوط العربي على عرش الثقافة العالمية خلال العصور الوسطى وإبّان مطلع العصر الحديث، ومن أهم الترجمات كتاب القانون في الطب للشيخ الرئيس ابن سينا، وكتاب الحاوي في الطب للرازي، وكتاب ألف ليلة وليلة، وكتب ابن رشد في الفلسفة

أمّا المحور الثالث وهو المعني بالإنتاج التأليفي للمستشرقين في الثقافة العربية، فهو من أوسع وأعمق الجهود التي بذلها المستشرقون غير العرب لفهم اللغة العربية، وآدابها، وتراثها العلمي والفكري، واشتملت على اللغة العربية، والأدب العربي، والدراسات الإسلامية، والتاريخ العربي والإسلامي، والفلسفة، ولنأخذ مثالا على ذلك: ففي أعمال المعاجم اللغوية نرى قاموس اللغة العربية للمستشرق إدوارد لين، وفي الدراسات القرآنية تاريخ القرآن للمستشرق نولدكة، وفي التاريخ يطالعنا كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان، وفي الفقه والحديث يأتي كتاب العقيدة والشريعة في الإسلام للمستشرق جولدتسهير، ولكن هذا الإنتاج التأليفي كان في كثير من الأحيان لا يحقق الغاية من تأليفه؛ وذلك يعود للتحامل

تعد كراسي اللغة العربية في الجامعات الغربية من أقدم أوجه التواصل العلمي بين العالمين العربي والأوربي

أول كرسي رسمي لتدريس اللغة العربية أسس في جامعة باريس سنة 1539م، ثم تبعته جامعة كمبردج البريطانية سنة 1632م، ثم تأسس كرسي اللغة العربية في ليدن بهولندا

الأيديولوجي في بعض الكتب وخصوصا الدينية منها، ومحدودية الفهم أحيانا للسياق الثقافي واللغوي.

ننتقل إلى المحور الرابع، وهو كراسي اللغة العربية في الجامعات الغربية، وهذه الكراسي تعد من أقدم أوجه التواصل العلمي بين العالمين العربي والأوربي، وكانت البدايات في العصور الوسطى، وربما الدوافع الأولى كانت دينية وتبشيرية خاصة بعد الحروب الصليبية، وأول كرسي رسمي لتدريس اللغة العربية أسس في جامعة باريس سنة 1539 للميلاد، ثم تبعته جامعة كمبردج البريطانية سنة 1632 للميلاد، ثم تأسس كرسي اللغة العربية في ليدن بهولندا ليصبح مركزا مهما للدراسات العربية عامة والإسلامية خاصة، ثم توالت كراسي اللغة العربية تباعا في جامعات أوروبا، ثم لاحقا تطورت هذه الكراسي إلى معاهد متخصصة مثل معهد الدراسات الشرقية بجامعة أكسفورد، ومعهد العالم العربي في باريس والمعهد الألماني للدراسات الشرقية والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في لبنان والقاهرة، وهذه المعاهد أوجدت إنتاجا تأليفيا عربيا غزيرا.

أما المحور الخامس، فهو محور لا يقل أهمية عن سابقيه، وهو الترجمة، وكيف كانت هذه الترجمة جسرًا في نقل الثقافة العربية إلى الغرب، ونأخذ المترجم جيرارد كريموني نموذجا، هو جيرارد كريموني نسبة إلى مسقط رأسه كريمونا بإيطاليا، وتوفي في توليدو طليطلة الأندلس، بعد سقوط طليطلة معقل العلوم والمعارف العربية والإسلامية في أوربا، وأصبحت مكتبتها ملكا لإسبانيا، وبعد الاطلاع عليها ومعرفة الكنوز العلمية التي بها، بدأ الاهتمام بها وترجمتها إلى اللاتينية واللغات الأوربية، حيث كانت طليطلة في ذلك العصر منارةً علمية ومركزا مزدهرا لحركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، وأكبر من انبرى لهذا العمل الجليل الإيطالي جيرارد كريموني حيث ترجم أكثر من 85 مؤلفا من العربية إلى اللاتينية، وفي مجالات متعددة منها الفلك فترجم كتاب المجسطي لبطليموس عبر ترجمته العربية، وفي الطب ترجم القانون في الطب للشيخ الرئيس ابن سينا والحاوي للرازي، وفي الرياضيات ترجم كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي، وبهذا الكتاب دخل هذا العلم لأوروبا بإحداثياته الجديدة، وفي الفلسفة ترجم عددا من مؤلفات الفيلسوف العربي ابن الكندي، وبالتالي أسهمت ترجماته في إدخال العلوم العربية والفلسفة الإسلامية إلى أوربا وخاصة الطب والفلك والرياضيات؛ لتعتمد بعد ذلك الجامعات الأوربية على هذه الترجمات في القرون التالية خصوصا مدرسة سالرنو الطبية، كما ساهمت ترجماته في تغيير الصورة الأوربية عن المؤلفات العربية، وفتحت أعينهم على تقدّم العرب والمسلمين في العلوم، وساعدت أوروبا على التحوّل من التبعيّة للتراث الإغريقي فقط إلى الانفتاح على الفكر العربي والإسلامي.

في ختام الحديث عن الاستشراق والمستشرقين لا بد لنا من ملاحظات نقدية على جهود المستشرقين، وتناول الجانبين الإيجابي والسلبي لجهودهم المبذولة في هذا الصدد، أمّا الجانب الإيجابي فيتمثل في الآتي:

- إنقاذهم تراثا ضخما من الضياع.
- قدموا للعالم صورة تجسّد عظمة الحضارتين العربية والإسلامية.
- ساهموا في إحياء النصوص العلمية والفكرية العربية.
- إيجاد المنهجية العلمية الدقيقة في التوثيق والتحليل.
- إحياء التراث ونقله إلى لغات عالمية.
- فتح آفاق جديدة للمقارنة بين الفكر العربي وغيره.

أمّا الجانب السلبي فيتمثّل في الآتي:

- تعامل البعض مع التراث العربي والإسلامي من منظورٍ استشراقي متحيّز أو استعلائي.

- تهجير الكثير من المخطوطات العربية والإسلامية إلى أوربا وأمريكا دون وجه حق.
- الكثير من التحقيقات افتقرت إلى الفهم الدقيق للسياق اللغوي أو الثقافي.
- السطو على المواد المعرفية لبعض المخطوطات وادعائها إلى الملكية الفكرية الأوربية مثل كتاب الكوميديا الإلهية للإيطالي دانتي المأخوذ من كتاب رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي، وكذلك فن الأسلوبية في البيان العربي الذي ذهب إلى الفرنسي سيلفستر دي ساسي على أنه أول من ابتكر هذا البيان، وإنما أول من أنشأ فن الأسلوبية ووضع أسسه هو عبد القاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة قبل أكثر من سبعة قرون على ولادة دي ساسي، ومنها اكتشاف الدورة الدموية الذي ذهب لويليام هارفي الذي أخذها من أحد كتب الطبيب العربي المسلم ابن النفيس المتوفى قبل ثلاثة قرون من ولادة ويليام هارفي، وغير ذلك الكثير، وقد أتينا بالشاهد فقط لنؤكد على ذلك وليس هدفنا الاستقصاء.
- السطو على بعض المؤلفات بعينها وإزالة اسم المؤلف الحقيقي وإيراد الأسماء الأوربية.
- الطعن الصريح في الإسلام والقرآن وشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، والعبث بالأدب العربي قبل الإسلام والقول فيه، وإشهار قضايا كثيرة مثل السرقة والانتحال الشعري وكتابة الأشعار على لسان أهل القرنين الثاني والثالث ونسبتهما للشعراء الجاهليين، وكان المستشرق الإنجليزي مرجليوث أحد أساطين التعصب الشيطاني على الثقافة العربية والإسلامية فنادى بأكثر هذه الأقوال، وتابعه على ذلك تلميذه الأزهري الدكتور طه حسين فتبع مدرسته في ذلك عبر كتابه الموسوم (في الشعر الجاهلي)

وفي ختام هذا الموضوع عن الاستشراق والمستشرقين يمكننا القول إن حركة الاستشراق تمثل فصلا بالغ الأهمية في تاريخ التفاعل الثقافي بين الشرق والغرب، حيث أسهم المستشرقون رغم نواياهم واختلاف مناهجهم في نقل التراث العربي والإسلامي إلى العالم الغربي، وإن كانت هناك نظرات سلبية، فكذلك هناك نظرات إيجابية أرست قواعد العلوم والمعارف العربية والإسلامية؛ لذا فالاستشراق مرآة عاكسة، فيها ما يظهر جمال التراث العربي، وفيها ما يغيّره ويبدّله؛ وعلى القارئ العربي أن يقرأ عن تراث الأمتين العربية والإسلامية ويتسلح بهما على قراءة المؤلفات الاستشراقية بعينٍ باحثة وروحٍ ناقدة.

إحدى لوحات المستشرقين عن مصر

أدب

الميتافيرس

وتجليات الأدب

د. محمود الضبع

أستاذ النقد الأدبي، وعميد كلية الآداب جامعة قناة السويس، مصر

كان الأدب مصدرا مهما من مصادر الإنتاج التكنولوجي من قبل أن يتبلور مفهوم التكنولوجيا ذاته، فقد استطاعت الأفكار الخيالية في الأدب منذ قديم الزمان أن تتحول إلى واقع فعلي بمرور الزمن، بدءا من حلم الإنسان بالطيران، والانتقال اللحظي من مكان إلى مكان، ومرورا بالأدوات الافتراضية التي لم يكن لها وجود سوى في الآداب والفنون، وليس انتهاء بتصور عوالم كاملة لا تنتمي إلى أرضنا التي نعرفها وعالمنا الذي نعيش فيه، وإن كانت تحاكيه ولكن بخلق عالم افتراضي لا وجود له، وكان الاعتماد دائما على إحداث انتقال زمني بعيد، سواء إلى المستقبل، أو إلى الماضي السحيق.

يمكن الوقوف في الآداب والفنون العالمية على كثير من الأعمال، بداية من فونتنل، وجول فيرن، وهـ. ج. ويلز، وغيرهم -كما سبق- ، والتي اعتمدت جميعا على الانطلاق بالخيال نحو عوالم موازية، أو عوالم تخييلية افتراضية، تكون للبشر فيها هيئات جديدة، وأدوار جديدة، وإمكانات حركة وانتقال أكثر سرعة وخفة عشرات المرات مما هو متحقق في الواقع الفعلي.

> **استطاعت الأفكار الخيالية في الأدب منذ قديم الزمان أن تتحول إلى واقع فعلي بمرور الزمن**

كما يمكن الوقوف في الأدب العربي على كثير من الأعمال التي تم تصنيفها تحت مسمى الفانتازيا، وإن كنا بمنظور اليوم يمكن أن نتناولها بمدخل العالم الافتراضي/ عالم الميتافيرس، لأنها بالفعل ترسم عالما افتراضيا متخيلا تماما، ومنها:

توفيق الحكيم -مثلا- وقصة (في سنة مليون) التي تصور عالما افتراضيا لا يعرف أهله الموت، وأعماله المسرحية: تقرير قمري، ورحلة إلى الغد، اللتان يسافر فيهما الأبطال إلى الفضاء.

يوسف السباعي، وروايته **(لست وحدك)** التي تحكي عن رحلة إلى الفضاء يقوم بها ستة أشخاص في سفينة فضائية تستهدف استكشاف الكواكب الأخرى.

ورواية **(السيد من حقل السبانخ)** لصبري موسى، التي يصور فيها عالما مستقبليا يعيش فيه البشر في كرة بلّورية في الفضاء (لأن الأرض فسدت للحياة تماما)، ويخضع الجميع لهيمنة العلم وأجهزته وتطبيقاته، ويلتزمون بخطوات محددة في كل تفاصيل حياتهم، تتكرر كل يوم بشكل آلي، وعندما يقرر (هومر) مثلا الخروج عن صف الموظفين ليتأمل الشمس عبر الجدار الزجاجي، فإنه يبدأ في التمرد، ومن خلاله يتم رصد هذا العالم بتفاصيله التي تفتقد للمشاعر الإنسانية تماما بعد أن تحولت للآلية.

ورواية **(الواجهة)** ليوسف عز الدين عيسى، التي تتحدث عن **(السيد ميم)** الذي وجد نفسه في مدينة تتكون من شارع واحد، ولا يعلم من أين أتى ولا ماذا عليه أن يفعل، ويكتشف أن كل ما حوله يدور على نحو آلي وبقوانين صارمة، فيمكنه أن يدخل المطعم في أوقات محددة لتناول الطعام، ويذهب لعمله ويعود إلى منزله في أوقات محددة، ولكن بشرط ألا يتحدث مع أحد، فإذا تحدث سيكون مصيره الموت... ومن خلال هذا العالم الافتراضي الآلي يكتشف الكثير مما حوله، ومما تخفيه المدينة في الوجه الآخر الديستوبي لها.

وبالإضافة إلى ذلك هناك أعمال عربية كثيرة معاصرة عالجت الواقع الافتراضي الذي يشبه عالم الميتافيرس بصيغه المستقبلية المطروحة.

المتأمل لكل أشكال الواقع الافتراضي كما طرحته تكنولوجيا الألفية الثالثة، سيجد أنه يعتمد في المقام الأول على نسج سردية محبوكة العناصر

السرد خلفية مرجعية في الميتافيرس:

أما على مستوى الميتافيرس بتطبيقاته التي ظهرت حتى الآن (في السينما أو ألعاب الفيديو التفاعلية، أو التطبيقات التكنولوجية المعتمدة التقنيات ثلاثية الأبعاد)، بالإجمال يمكن القول إن السرد يمثل خلفية مرجعية في كل هذه الأشكال من الميتافيرس، والمتأمل لكل أشكال الواقع الافتراضي كما طرحته تكنولوجيا الألفية الثالثة، سيجد أنه يعتمد في المقام الأول على نسج سردية محبوكة العناصر، وأنه إذا تم تفريغه من هذه السردية، فإنه يفقد الحكاية، التي تفقده بدورها عالمه السحري.

ففي إنترنت الأشياء، هناك سردية كامنة تتعلق بقصة حياة الإنسان، وطريقة عيشه، أو بمعنى أدق الصيغة التي يرغب أن يعيش بها، فالمعنى الأساسي لإنترنت الأشياء هو ربط وتوصيل كل الأدوات والأجهزة التي يستخدمها الإنسان في حياته وتوصيلها عن بعد بما يسمح باستخدامها من أي مكان وعبر أي وسيط، وهو ما غدا اليوم يمثل السردية الكبرى التي لا تستطيع البشرية الفكاك من أسرها.

وفي ألعاب الفيديو الإلكترونية، تقوم كل لعبة على سردية، أو فكرة حكاية يتم تقديم بعض عناصرها، ويقوم اللاعب باستكمالها، وكأنه يكمل سرديته هو على نحو تفاعلي (بمفهوم الأدب التفاعلي)، وهو ما يذكرنا بالمفهوم الأساسي لعلم السرد، وهو الطريقة التي يتم بها الحكي، وليست الحكاية ذاتها، وهو ما يذكرنا بتحليل السرد عند رولان بارت - مثلا- واعتماده على تحليل الأسلوب الذي يتم به سرد القصة، ورؤيته أن كل مادة تصلح لأن يتم حكيها في السرد: **(فالسرد يمكن أن تحتمله اللغة المنطوقة شفوية - كانت أم مكتوبة - والصورة ثابتة كانت أم متحركة، والإيماء، مثلما يمكن أن يحتمله خليط منظم من هذه المواد، والسرد حاضر في الأسطورة وفي الحكاية الخرافية، وفي الحكاية على**

لسان الحيوانات، وفي الخرافة وفي الأقصوصة والملحمة والتاريخ والمأساة والدراما والملهاة والبانطوميم، واللوحة المرسومة، وفي النقش على الزجاج، وفي السينما الكومكس، والخبر الصحفي التافه، وفي المحادثة، وفضلا عن ذلك فإن السرد بأشكاله اللانهائية تقريبا حاضر في كل الأزمنة وفي كل الأمكنة وفي كل المجتمعات فهو يبدأ مع تاريخ البشرية ذاته، ولا يوجد أي شعب بدون سرد).

> **يذكرنا "باعتماد تودوروف" في تحليله السردي على ما أسماه السردية، أي تحليل البنية الأساسية التي توفر شكلا قواعديا**

كل ذلك يحيلنا إلى الوقوف على السرديات الكامنة وراء ألعاب الفيديو التفاعلية التي تتم الآن في الواقع الافتراضي، وتصنع عالم الميتافيرس:

حيث قامت لعبة **الفورتنايت** منذ إصدارها في عام 2017 على سردية إنقاذ العالم من الزومبي، **(save the world)**، بعد أن تعرضت الأرض لعاصفة أدت لاختفاء 98٪ من البشر عالميا، وهنا ظهرت كائنات الزومبي (الموتى الأحياء بلا عقل) لتهاجم النسبة المتبقية من البشر، وهنا يبدأ دور اللاعبين في محاربة العاصفة، وحماية البشر المتبقين، وخوض الحرب ضد كائنات الزومبي، بكل ما تقتضيه هذه الحرب من القتال واستخدام الأسلحة وتطويرها والتخطيط الاستراتيجي لإدارة الحرب، وكلما تقدم اللاعبون وحققوا المزيد من الانتصارات تتحسن مواصفاتهم القتالية، وتزداد فرق الدعم لديهم، وتتطور أسلحتهم.

كما قامت لعبة **(الروبلوكس)** على سردية تصميم الإنسان لعالمه الذي يرغب أن يعيش فيه وإمكانية تغيير عناصره وتفاصيل حياته وإعادة مسح حكاياته القديمة وبناء حكايات جديدة.

كما تعتمد لعبة **(الماينكرافت)** على سردية نسج القصة التي يحلم بأن يعيشها اللاعب، ومداعبة الخيال البشري في حلم العودة للكوخ والحياة الطبيعية، بشرط ألا يعيش الصعوبات التي كان يعيشها الفلاح في حياة الريف، وإنما يكون في إمكانه الاستعادة بكل التقنيات والأدوات والأجهزة التي تساعده على بناء هذا الكوخ والعالم المحيط به على نحو افتراضي، فمثلا هو لا يحتاج إلى بذل جهد مرهق من أجل قطع الأشجار، وإنما هناك أدوات متقدمة جدا تساعده في صنع ذلك، ولا يحتاج إلى القيام بنفسه بأعمال البناء، وإنما هناك تطبيقات تقوم بهذه المهام.. باختصار فإن الإنسان يمارس حلم العودة للكوخ، ولكن بإمكانات العالم المتطور تكنولوجيا، ومتعة الحياة تكمن في نسجه هو لهذا العالم وإدارته في ظل التحديات التي تواجهه، وفي ظل الرغبة الدائمة في التطوير والتحسين والارتقاء من مستوى إلى مستوى آخر، يعتمد في نهاية الأمر على غريزة الامتلاك والسعي وراءها.

فهل سيصنع الميتافيرس عالما أفضل من عالمنا؟ الذي تزايدت مخاطره بين الحروب، والإرهاب، والتصحر، والاختلال المناخي، ونقص الموارد، ونضوب مصادر المياه، والتلوث، والنفايات التكنولوجية، واختلال الأمن، وتفكك الروابط الاجتماعية، وغيرها من معضلات تواجه البشرية.. أم أنه سيخضع الإنسان لهيمنة شركات الإنتاج، ويدفعه نحو المزيد من سيادة ثقافة الاستهلاك، والمزيد من العزلة عن الواقع، والمزيد من المشكلات الجديدة التي لا يمكن التكهن بأبعادها حتى الآن، والتي سيطرحها هذا العالم الخيالي؟

أدب

الأدب الأخضر

قصائد تحرس الطبيعة وسرديات تؤانس وحشتها

لبنى ياسين

كاتبة، صحفية، وتشكيلية

سوريا

تعد قضايا البيئة، والاستدامة من أبرز التحديات التي تواجه المجتمع العالمي في الوقت الحاضر، لا سيما مع الآثار البيئية السلبية التي يواجهها كوكبنا بسبب نشاطاتنا البشرية، مما يتطلب تبني مبادرات، وحلول مبتكرة للحد من الآثار الضارة على الطبيعة، والحفاظ على التوازن البيئي، ولهذا أصبحت الحركات الناشئة للحفاظ على البيئة، والاستدامة تلقى اهتمامًا متزايدًا، إذ تشجع المجتمع على التحول نحو أساليب حياة صديقة للبيئة.

في ظلّ الظروف البيئية المتدنية التي يشهدها كوكبنا، اكتسبت مفاهيم الأدب الأخضر أو البيئي، والملكية الفكرية أهميةً كبيرةً في تعزيزِ الوعي البيئي، ودعمِ الجهود الحثيثة للحفاظ على البيئة، حيث يعمدُ الأدبُ الأخضر إلى تسليطِ الضوءِ على القضايا البيئية، وإلى تجسيدِ تفاعلِ الإنسان مع الطبيعة، والتأثيرِ الذي يمكن أن يصنعه بقصد، أو بغيره على البيئة، بينما تمثلُ الملكيةُ الفكرية القاعدةَ القانونية التي تحمي حقوقَ المبدعين، والمخترعين، وتشجعُ على الابتكار والابداع، وعند تجنيد هذين المفهومين لخدمةِ الاستدامة، يظهر تأثيرهما الايجابي في تعزيز العمل البيئي، ودعم الحركات الناشئة للحفاظ على البيئة.

الأدب الأخضر:

يعرف الأدب الأخضر، أو كما يطلق عليه أيضًا الأدب الحيوي، أو الأدب البيئي بأنه تعبير عن قلق كوني يهز الإنسان المتمركز حول نفسه، ويفتح وعيه على ضرورة تفهم مشاركة هذا الكون مع غيره من الكائنات، والموجودات، وهو اتجاه أدبي يركز على القضايا البيئية، والاستدامة، وعلى التوعية بأهمية الحفاظ على البيئة، والطبيعة، ويتناول مواضيع كتلوث البيئة، التغيرات المناخية، حماية التنوع البيولوجي، الطاقة المتجددة، الاستدامة، والعلاقة بين

الإنسان والطبيعة هذا مع ملاحظة أن الأدب هو ابن بيئته، وأنه لا يمكن للأدب بطبيعة الحال أن ينفصل عن البيئة.

تعود بدايات الأدب الأخضر إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث بدأ الناس يدركون الآثار المدمرة للنمو الصناعي، و الاقتصادي السريع، والتطور التكنولوجي على البيئة، فبدأ الأدباء والكتّاب يتناولون هذه القضايا في أعمالهم الأدبية، ومع مرور الزمن والإحاطة بالخطر المحدق بالبيئة، تطور هذا النهج ليشمل توجيه رسائل بيئية واعية، وداعمة للتوجه نحو الاستدامة، وفي هذا السياق يقول جلن أي لوف: (إن تدريس أو دراسة الأدب دون الرجوع إلى ظروف العالم الطبيعية، والأسس البيئية الجوهرية التي تشكل الأساس للحياة - تبدو على نحو متزايدٍ قصيرة النظر، وغير متطابقة).

ويعتبر الأدب الأخضر وسيلة فعالة لتوعية الناس بالقضايا البيئية بأسلوب إبداعي وجذاب، حيث يستخدم الكتّاب، والشعراء، والمؤلفون أساليب مختلفة للتعبير عن مخاطر المشاكل البيئية، يمكن للأدب الأخضر أن يشملَ الشعر البيئي، والقصص، والروايات التي تحكي قصصًا مستوحاة من التحديات البيئية، والتقارير، والمقالات التي تستعرض المشكلات البيئية، وتقدم حلولا مستدامة، فإذا كان الأدب قد لعب دوراً سياسيًا فاعلًا، ومشهودًا له في قيادة الشعوب نحو التغيير خلال التاريخ، فلا بد أنه قادر على أن يلعب دورًا بيئيًا رياديًا، وتوعويًا، وثوريًا أيضًا بنفس الطريقة للوصول إلى الاستدامة.

يتمحور دور الأدب الأخضر في توعية الناس بالقضايا البيئية حول عدة نقاط رئيسية:

- **إيصال رسائل توعوية: حيث يمكن من خلال الأدب، والشعر نشر أفكار بيئية توعوية.**
- **التوثيق: إذ يمكن عن طريق الأدب توثيق المشاكل البيئية، والممارسات البيئية الخاطئة كخطوة أولى في اتجاه إيجاد الحلول.**
- **التحفيز على التحرك: حيث يمكن تحفيز الناس على اتخاذ إجراءات فردية، وجماعية للحفاظ على البيئة، والحد من الممارسات الضارة بها.**

نماذج من الأدب الأخضر:

أورد هنا على سبيل الذكر، وليس الحصر بعض الأمثلة على الأدب الأخضر:

1. سَنتي من اللحوم (My Year of Meats) تأليف روث أوزيكي: تثير روث أوزيكي في روايتها

موضوعات كالأمومة، والعدالة البيئية، وطرق الحياة الحيوية الطبيعية، وذلك بفضح الاستخدام المروع لهرمونات النمو في إنتاج اللحوم بالولايات المتحدة الأميركية.

2. شعب الحيوان:)Animal's People): تأليف إندرا سينا، وهي رواية تتناول حادثة انفجار مفاعل الغاز في (بوبال) Bhopal الهندية التي تعتبر إحدى أفظع الكوارث البيئية في القرن العشرين.

3. قصيدة (اعتذار للطبيعة) للشاعر الأمريكي والت ويتمان: تعتبر هذه القصيدة من أهم الأعمال الشعرية البيئية التي أُلّفت عن البيئة، تعبر القصيدة عن ندم الإنسان على تدميره للطبيعة، وعن التواصل المفقود بين الإنسان وبيئته، وتحث على التغيير، والعمل من أجل حمايتها.

4. قصة (من أجل قطرة ماء) للكاتبة لبنى ياسين، والموجودة في منهاج اللغة العربية لوزارة التعليم في دولة قطر، والتي تتحدث عن أهمية الحفاظ على الموارد المائية، وعدم هدرها لتبقى للأجيال القادمة.

أهمية الحماية القانونية للملكية الفكرية في تعزيز الأدب الأخضر:

تلعب الحماية القانونية للملكية الفكرية دورًا بارزاً في دعم الأدب الأخضر، والابتكار البيئي، من خلال منح حقوق الملكية الفكرية للأعمال الأدبية المستدامة، وفيما يلي يعض النقاط التي يمكن أن توضح أهمية الحماية القانونية للملكية الفكرية للتنمية المستدامة:

1. تحفيز الإبداع والإنتاج الأدبي الأخضر: حيث إن ثقة الأدباء بأنهم سيحصلون على الاعتراف والتقدير المستحق لجهودهم يشكل حافزًا لاستكمال مشاريعهم، وتطوير المزيد من الأعمال الأدبية التي تركز على القضايا البيئية، وتساهم في توعية الجمهور.

2. دعم البحث والتطوير في مجال الأدب الأخضر: حيث تسهم الحماية القانونية للملكية الفكرية في توفير بيئة مواتية للبحث والتطوير، وتحفز هذه الحماية الكتّاب والأدباء على البحث عن مواضيع جديدة، ومبتكرة تتعلق بالقضايا البيئية (النقد البيئي مثلًا)، واستخدام أساليب إبداعية لتقديمها.

3. الحفاظ على المعرفة والتراث الثقافي البيئي: مما يساهم في الحفاظ على التنوع الثقافي، واحترام الثقافات المختلفة المرتبطة بالبيئة.

4. تشجيع الاستثمار في الأدب الأخضر: يمكن للحماية القانونية للملكية الفكرية أن تزيد من جاذبية الاستثمار في هذا المجال، حيث يشعر المستثمرون بالأمان بشأن حقوقهم الفكرية والحماية القانونية لأعمالهم.

دور الحماية القانونية في تشجيع الابتكار البيئي والتقنيات المستدامة:

إن الحماية القانونية للملكية الفكرية تلعب دورًا حيويًا في تشجيع الابتكار البيئي، وتطوير التقنيات المستدامة، نستطيع رؤية هذا الدور في التزايد المضطرد في عدد البراءات المسجلة في مجالات مثل الطاقة المتجددة، وإدارة المياه، والزراعة المستدامة ليتضح أثر الحماية القانونية في تشجيع الابتكار البيئي، والذي يتلخص في نقاط أهمها:

1. تحفيز الاستثمار في البحث والتطوير: عندما يثق المبتكرون، والشركات أن اختراعاتهم وابتكاراتهم محمية قانونياً، سيعملون أكثر على الاستثمار في البحث، والتطوير، وهذا يشجع على تخصيص المزيد من الموارد لهذا الغرض، ما يصل بنا إلى تطوير التقنيات المستدامة.

2. تعزيز روح المنافسة، والتحفيز الاقتصادي: فحماية الملكية الفكرية تمنح المبدع مزايا تنافسية، حيث لا يستطيع الآخرون تسويق ابتكارته، أو أفكاره دون إذنه، مما يجعل فكرة الابتكار البيئي مغرية اقتصادياً

للعقول المبدعة، من أجل تلبية حاجات المستهلك المتزايدة للمنتجات، والخدمات البيئية.

3. توفير الحوافز للمبتكرين: الحماية القانونية للملكية الفكرية توفر حوافز مادية ومعنوية للمبتكرين، والشركات للاستمرار في تطوير التقنيات المستدامة، والابتكارات البيئية، هذا يساهم في تحسين الأداء البيئي، وتحقيق الفوائد الاقتصادية، والاجتماعية للمجتمع .

4. تحسين وصول الجمهور للتقنيات المستدامة: تشجع الحماية القانونية للملكية الفكرية المبتكرين على توفير المعرفة، والتقنيات المستدامة دون القلق من سرقة جهودهم وأفكارهم، فيصبح الوصول إليها أسهل، مما يعزز استخدام التقنيات المستدامة لصالح البيئة.

دور الأدباء والكتاب والمفكرين في دعم وتشجيع الحركات البيئية:

للأدباء والمفكرين دور هام في دعم الحركات البيئية، وتحفيز المجتمع على اتخاذ إجراءات للحفاظ على البيئة، ولهذا أهمية كبيرة في تحقيق التغيير الإيجابي، والاستدامة البيئية، ومن بعض الجوانب التي يمكن أن يساهموا فيها:

- **رفع الوعي البيئي** باستخدام التأثير العاطفي: حيث تكمن قوة الأدب في قدرته على التأثير العاطفي، والإلهامي في القرّاء من خلال قصص، وشخصيات تدعم العمل البيئي، وتحفزهم على التحرك للحفاظ على البيئة، وتحقيق التغيير.
- **تحفيز التفكير الإبداعي:** يساهم الأدباء، والكتاب، والمفكرون في ذلك عندما تتناول أعمالهم الأفكار البيئية الجديدة، والمبتكرة التي تهدف إلى تحسين الاستدامة، والحفاظ على الموارد الطبيعية.
- **الضغط الاجتماعي والسياسي:** يستطيع الأدباء، والكتاب، والمفكرون أن يشكلوا عاملًا فاعلًا في الضغط الاجتماعي، والسياسي للتغيير، وذلك من خلال الكتابة عن قضايا البيئة، والتحدث عنها في الإعلام، والمناسبات العامة، يمكنهم تحفيز المجتمع، والحكومات على اتخاذ إجراءات قوية لحماية البيئة، ودعم الحركات البيئية.
- **دعم الحركات الناشئة:** يمكن للأدباء، والكتاب، والمفكرين أن يقدموا الدعم للحركات الناشئة للحفاظ على البيئة، من خلال تسليط الضوء على أنشطة تلك الحركات، وتشجيع الجمهور على المشاركة فيها، ويمكن أن تساعد الأعمال الأدبية في جذب المزيد من الانتباه والدعم لهذه الحركات.

التحديات المتوقعة في مجال دعم الأدب الأخضر للحركات البيئية:

تشمل التحديات المستقبلية المتوقعة في مجال دعم الأدب الأخضر (البيئي)، والملكية الفكرية للحركات البيئية، والتحول نحو الاستدامة ما يلي:

1. التحديات المالية: فقد تكون الموارد المالية محدودة لدعم الأدب الأخضر، والابتكار البيئي، خاصة وأن الفكر الرأسمالي لا يعبأ كثيراً بالبيئة.
2. تحديات التوعية والتثقيف: يواجه الأدب الأخضر تحديات في الوصول إلى الجمهور، خصوصا في المجتمعات التي لا تعتبر القراءة عادة يومية فيها، لذلك يجب تطوير استراتيجيات فعالة لنشر الأدب البيئي من خلال المناهج الدراسية مثلاً، وتشجيع القراءة، وإقامة أوراش العمل، وافتتاح مكتبات للقراءة، وتحويل الروايات إلى مادة تلفزيونية مشاهدة.
3. التحديات القانونية: قد يواجه الابتكار البيئي، وحماية الملكية الفكرية تحديات في القوانين، والتشريعات المتعلقة بالملكية الفكرية، أو في إساءة استخدامها، وهنا يجب تحسين الإطار القانوني للملكية الفكرية لتشجيع الابتكار البيئي.
4. التحديات التقنية: قد تكون هناك حاجة إلى التكنولوجيا المتطورة، والحلول الابتكارية لمعالجة التحديات البيئية، وهنا يجب دعم البحوث والتطوير التكنولوجي البيئي، والتعاون مع الدول والمنظمات صاحبة الإنجازات الأكثر تقدمًا للاستفادة من تجاربها، وتحقيق التقدم في هذا المجال.

ختاماً يمكننا أن نستنتج أن للأدب الأخضر، والملكية الفكرية دورًا هامًا في دعم الحركات البيئية، وتحفيز المجتمع على اتخاذ إجراءات للحفاظ على البيئة، وتحسين الاستدامة، من خلال توظيف قوة الأدب والإبداع، يمكن للأدباء، والكتاب، والمفكرين أن يساهموا في تعزيز الوعي البيئي من خلال رسائلهم البيئية إلى الجمهور، ولا يقتصر دور الأدب الأخضر، والملكية الفكرية على التأثير الفردي فحسب، بل يمتد لدعم الابتكار البيئي، وتحفيز الحركات البيئية، وتعزيز الوعي البيئي في المجتمع بأكمله، ومن خلال العمل المستمر والتعاون بين مختلف القطاعات، يمكننا أن نحقق تغييرًا إيجابيًا في الحفاظ على البيئة، والتوجه نحو تحقيق التنمية المستدامة للأجيال القادمة، دون أن نغفل أن اساءة استخدام حقوق الملكية ساهم في حرمان الدول الفقيرة، والنامية من معلومات كان من شأنها أن تساهم في تقدم المجتمعات، كما أنه أصبح سلاحًا خطيرًا في يد الرأسمالية، أذكر هنا الشركات المتعددة الجنسيات كنموذج لإساءة استخدام الملكية الفكرية، حيث استخدمت الحقوق الفكرية لطرد المنافسين، واحتكار السوق، وزيادة رؤوس أموالها الضخمة أصلاً مما يضر بالبيئة، والاقتصاد الوطني خصوصاً في بلدان العالم الثالث.

المراجع:

- التنمية المستدامة ومتطلبات تحقيقها، عبد الرحمن محمد الحسن.
- التنمية المستديمة، فلسفتها، وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها، عثمان محمد غنيم، وماجدة أبو زنط.
- الأدب والتلوث البيئي، د.عبد الحميد أحمد ناصر المدري.
- Literature and sustainability: Concept Text and Culture By: Adeline Johns-Putr,John Parha, Louise Squire
- من أجل لغة خضراء، محاولة في فهم أدب البيئة ونقده، آدمي خميسي.
- التعبئة البيئية في العراق: المنظمات غير الحكومية والفاعلين المحليين في ظل تحديات التغيّر المناخي، صفاء خلف.
- النقد الأدبي ودوره في التنمية المستدامة، محمد جاسم محمد جبارة.
- أفضل خمس روايات عن البيئة، انديبندنت، تي هانغ تشانغ.
- حقوق الملكية الفكرية الصناعية، وأثرها على تنمية الاقتصاد القومي في المجتمعات النامية، مجلة هلوم وفنون، جورج وجيه.

النخيـــل نـــــــزوح

آلاء القطـــراوي
غزة / فلسطين
عضو ملتقى
الإيسيسكو للشاعرات

مَجْرُوحَـــةٌ كُـــلُّ القَصَائِـدِ فِـي نُـزُوحِـــي ... كَيْـــفَ أَشْـــدُدُ خَيْمَـــةً بِاسْـــمِ الْكَـــرَى

لَـيْسَـــتْ هُنَـــا الـصَّحْـــرَاءُ لَكِـــنْ كُـــلُّ ... شَـــيْءٍ فِـي عُـيُـــونِ النَّازِحِيـنَ تَصَحَّـــرَا

عُـدْنـــا كأنّـــا لَـمْ نَكُـــنْ إلّا امْـتِـــدَاداً ... وَاحِـــداً ودَمـــاً يُـعتّـــقُ كَـوْثَـــرَا

أَحْتَـــاجُ حِكْمَتَـــكِ الّتِـي رَغْـمَ الْحُـــرُوبِ ... تَـــدُسُّ فِـي رِئَـتَـــيَّ وَرْدَاً أَحْـمَـــرَا

ألقِـي الْقَمِيـصَ بِبَعْـضِ تَمْـرِكِ لـمْ يَـزَلْ ... عُمْـــرِي بِـمِلْـــحِ الـذِّكْرَيَـاتِ مُـزَرّرَا

لَا إِخْـــوَةٌ لَا ذِئَـــبُ لَا سَـيَّـــارَةٌ ... وَالْجُـــبُّ يَغْـرُزُ فِي ضُلُوعِـي خِنْجَـرَا

قَـــدْ أَقْفَـــرَتْ كُـلُّ الْمَعَـانِـي بَـيْنَنَـا ... إلّا الّـذِي مِـنْ وَحْـي مَـرْيَـمَ أَزْهَـــرَا

واسَيْـــتِ خَيْـــرَ نِسَـــاءِ هَـــذِي الْأَرْضِ ... وَاسِيْنَـــا فَكَـــمْ سَوْطُ الرَّصَـاصِ تَجَبَّـرَا

تَحْلِيـقُ سَعْفِـكِ سَقْفُنَـا، وَرُسُـوخُ جِذْعِـكِ ... ظِلُّنَـــا مُـــذْ كَـــانَ صَبْـــرُك أَكْبَـــرَا

جُـــودِي اخْضِـــرَازاً صَـــارَ غُصْـــنُ الْعُمْـــرِ ... مِـــنْ هَـــوْلِ الْفَوَاجِـعِ فِي بِـلَادِي أَصْفَـــرَا

أَنْـــتِ الّتِـي نَسَجَـــتْ شُمُوخَـــاً هَاشِمِيّـــاً ... كَـــانَ فَـــوقَ جُـــرُوحِ شَعْبِـــي مِئْـــزَرَا

فَـــوقَ الـدُّمُـــوعِ الْمَـالِحَـــاتِ فَـــإِنَّ ... طَعْـمَ التَّمْـــرِ لَيْـــسَ يَكُـــونُ إلّا سُكّـــرَاً

مِـيلِـــي عَلَـى شَطَـــيْ فُـــؤَادِيَ رقّـــةً ... وَلْـتَحْضِنِـــي حُـزْنـــاً تَـفَجّـــرَ أَنْـهُـــرَا

رَبَـــتَ الـنَّبِـــيُّ عَلَـى نَـشِيجِـــكِ رَاحِمَـــا ... فَـرَشَفْـــتِ رَحْمَتَـــهُ وَأَلْـهَمْـــتِ الـــدُّرَى

وَغَـــدَوتِ بَـيْتـــاً حِيـنَ صِـرْتُ بِـدُونِـــهِ ... وَغَـــدَوْتِ أَكْـــرَمَ مِـنْ مَلَايِيـــنِ الْـــوَرَى

تـصوف

الشجرة والأرض

فلسفة التسامح في فكر ابن الخطيب الأندلسي

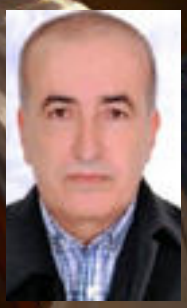

الزبير مهداد
باحث وكاتب
المملكة المغربية

الأندلس فردوس التسامح والتعايش

كانت الأندلس مضرب المثل في التعايش والتسامح، تجاورت وتحاورت فيها المذاهب والفرق والأديان، ففي ربوع هذا البلد اجتمع العرب والبربر والروم والقوط والصقالبة وغيرهم، واجتمع فيه من الأديان الإسلام والنصرانية واليهودية، ومن اللغات العربية واللاتينية والقشتالية والعبرية، تعايشت كل المذاهب والطوائف والألوان، وانفتحت على بعضها. فطبع التسامح أعمال وأفكار كثير من مثقفيها. وكان لسان الدين بن الخطيب أحد مثقفيها البارزين، الذي عبر عن قيمة التسامح في كتاباته.

إن منبع الحب الشريف هو الإحسان، الذي يعد فكرة محورية في التصوف

ابن الخطيب

وُلد لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي سنة 713هـ (1313م) في بيت علم وفضل وأدب وجاه[1]. تعلم على كبار علماء عصره، استوزره ملكا غرناطة أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل، وابنه محمد الغني بالله.

تعرض لمؤامرات شديدة قادها حساده، فوشوا به، وأوغروا عليه قلب السلطان، فتعرض لنكبة شديدة، ثم نفي إلى المغرب، وتنقل بين سبتة وفاس وتلمسان في عهد الأمير المريني عبد العزيز بن علي الذي أحاطه بحمايته. ثم عاد إلى الأندلس، ولم تتوقف مؤامرات حساده، فرجع إلى فاس، في عهد الأمير المستنصر الذي تخلى عنه، وسلمه للغني بالله، فحوكم بتهمة الزندقة، فسجن، ودخل خصومه عليه السجن، فخنقوه، ودفن في فاس في أوائل سنة 776هـ/1374م. مخلفا عددا مهما من الكتب والرسائل في التاريخ والأدب، والقصائد الوجدانية والعاطفية الرائعة.

تصوفه

إن النكبات التي تعرض لها ابن الخطيب، كانت بمثابة جروح نفسية عميقة، تسللت من خلالها أنوار الحقيقة إلى ذاته، ودفعته إلى اختيار طريق الزهد واغتنام بقية العمر في القربات والتقرب من الله2. فلما وصل ابن الخطيب إلى المغرب لاجئا، بعد نكبته، اتخذ مدينة سلا مستقرا له، وفيها التقى الصوفي القطب أبي العباس بن عاشر وتأثر به، وزار مقامات وأضرحة الصالحين والأولياء للتأمل والاعتبار. كما كان لوفاة زوجته أثناء ذلك، أثر في تعميق مشاعره الدينية، ويقظة روحه الصوفية.

لم يكن ابن الخطيب مريدا صوفيا، منتظما داخل طريقة للتصوف، لكنه استغرقته التأملات الصوفية، وتوقه إلى التجرد، والخلاص مما يشغله عن الله، ومصاحبة الصوفية ومخالطتهم، وقراءة كتب القوم، ومشاطرتهم تأملاتهم، والتشبع بثقافتهم.

كتاب روضة التعريف بالحب الشريف

ألّف ابن الخطيب هذا الكتاب الضخم عام 769هـ، تلبيةً لطلب الأمير الغني بالله الذي اقترح عليه معارضة كتاب (ديوان الصبابة) الذي صنفه أبو العباس ابن أبي حجلة التلمساني (ت776هـ)، ضَمَّنَه جملةً وفيرة من أخبار العشاق وشعر الحب. لكن ابن الخطيب نقل هذه الفكرة من مجال الحب البشري، إلى الحب الإلهي. وعرض القضية في صورة رمزية طريفة، هي صورة الشجرة: (وجعلته شجرة وأرضا. فالشجرة: المحبة، مناسبة وتشبيها، وإشارة لما ورد في الكتب المنزلة وتنبيها. والأرض: النفوس التي تغرس فيها. والأغصان: أقسامها التي نستوفيها. والأوراق: حكاياتها التي نحكيها. وأزهارها ثمارها التي نجنيها. والوصول إلى الله تعالى: ثمرتها التي ندخرها بفضل الله ونقتنيها...).

شكلت النكبات التي تعرض لها ابن الخطيب جروحاً نفسيةً عميقةً لديه

إن موضوع الكتاب، هو المحبة الإلهية؛ ما يجعله أشرف وأرفع من موضوع الكتاب المُعارَض الذي صنفه أبو حجلة في العشق والعشّاق، مما لا يتجاوز نطاقه دائرة الإنسان. لأن محبة الله هي محبة الحق، بينما محبة الإنسان هي محبة غير الحق.

إن تنقل المريد عبر المقامات والمنازل يتوخى تحقيق المحبة كإحدى أهم غايات التربية في الفرد

الحب الإلهي الشريف

إن الحب الإلهي، حسب ابن الخطيب، هو أصل طريق التصوف، وأساس الوعي الروحي. ووسيلة الارتقاء بالإنسان، بمعرفة الله، والسعي لطاعته، ومحبته. وذلك يتطلب الترقي عبر المقامات للوصول إلى المحبة العظمى والتسامح الشامل. ولأنّ الإنسان لا يستطيع العطاء دون حب، ولن يستطيع أن يحب دون أن يسامح، حيث إنّ التسامح والعطاء والحب أمور مرتبطة مع بعض. فالسعي نحو الحب الشريف يغير الإنسان، لأنه ينضجه أثناء الترقي في المقامات.

المقامات

في القسم الثالث من الروضة تحدث المؤلف عن معنى المحبة، واشتقاقاتها ومرادفاتها ودلالاتها عند العرب لغويا وأدبيا، ثم إثبات مشروعيتها عقلا ونقلا، وأنها أصل الوجود كله، ليصل في النهاية إلى المحبة الإلهية، فيذكر تعريفاتها، ومقوماتها، وما ينتج عنها من أحوال ومقامات لدى المريد.

فمن أجل بلوغ مرتبة السعادة والحب الإلهي، شرح ابن الخطيب أهمية المقامات والمنازل أو المراحل التي ينبغي التدرج من خلالها، لحمل النفس على الأخلاق النبوية، بالمجاهدة والرياضة، ارتقاء في مدارجها حتى يستوعبها ويتصف بها في أطوارها الثلاثة إسلاما وإيمانا وإحسانا[3].

إن المقامات هي خطوات للعلاج النفسي، ولتزكية النفس وترقيتها، فهي للمريد دروس يتلقاها، وتدريبات يكابدها لحمل النفس على الأخلاق النبوية، وقد تنبه ابن الخطيب بفطنته إلى الأمر، فقال عنها: ربما خص بعض المدونين المجاهدات بما يرجع إلى الأمور البدنية، والرياضات بما يرجع إلى الأمور النفسانية، وعندي أن الكل راجع إلى الأمور النفسانية[4].

إن تنقل المريد عبر المقامات والمنازل يتوخى تحقيق المحبة كإحدى أهم غايات التربية في الفرد، فتغدو المحبة خلقا تعبديا أصيلا صادقا. وترسيخ المحبة، وإشاعة التسامح ومحاربة التعصب بأنواعه، هي من المهام الأساسية التي حددها الشيوخ للتربية الصوفية.

المقام عند ابن الخطيب ينتظم من علم وعمل وحال. وهو ما يكتسبه العبد من منازل إيمانية؛ بمجاهداته الروحية في طريق العبادة، مثل التوبة، والورع، والزهد، والفقر، والصبر، والرضا، والتوكل، وغير ذلك. فإذا حصل العبد على مقامٍ ما كان له ذلك المقامُ خُلُقاً ثابتا، وصفةً راسخةً، ومرتبة يبني عليها ما بعدها، وجب أن يحافظ عليها؛ لأنها مستوى معين من التدين، والفهم للدين، والقرب من الله، لا يجمل به أن يتراجع عنها، إلى أن يبلغ خلة الكمال.

المقامات المخصوصة بالحديث كثيرة، يضيق المجال بسردها كلها، وهذه بعضها على سبيل الإيجاز.

مقام المجاهدة

المجاهدة هي حمل النفس على المشاق البدنية، ومخالفة الهوى على كل حال[5]، وتنمية القدرة على التحكم في السلوك في لحظات الضعف الإنساني، أمام قوة الاندفاع الغريزي، لحمل النفس على الالتزام بالفضيلة، وتكلف ذلك.

مقام الزهد

الزهد ضد الرغبة والجشع والنهم. قال ابن الخطيب: أما الزهد فمقام بدايته قاصرة ونهايته لا تدركها مقلة

باصرة، ولا يحصر فضلها فكرة حاصرة، فهو مدرج العموم ومسرح الهموم، ثم مرقى الخصوص إلى المقام المعلوم، وحقيقته الخروج عما سوى المحبوب، فإن كان مع قدرة عليه، فهو زهد، وإن لم يكن قدرة فهو فقر[6].

مقام الزهد يشترك مع مقام المجاهدة بتدريب النفس على التحكم في الرغبات وقمع الشهوات، للتفرغ لما هو أسمى، وتربيتها على ترك المحرمات واجتناب الشبهات، والتنشئة على طاعة الله وعبادته والتفرغ لطلب العلم، وترقيق النفس. والزاهد لا يبغض أحدا ممن رفعهم الله بمال أو علم أو منصب، فالأمر متروك لله، وعلى العبد أن يقف عند الانشغال بذاته.

مقام الصبر والرضا

الصبر هو تحمل المكروه، ويكون حال البلاء الشاق. ومقام الصبر عند الصوفية هو حبس النفس على البلوى، وعقل اللسان على الشكوى، لما يثق به من حسن العقبى، فهو من لوازم المحبة، وهو لجام الشوق الذي يكبح عند الطموح، ويكسر سورة الجموح، وهو في حق الخواص التلذذ ببلاء المحبوب، واستعذاب العذاب عند استغراق أسرار القلوب في هوى المطلوب لمشاهدة المسبب في الأسباب، ورؤية المعذب في العذاب، فهو أيضا مظهر للمحبة عال، ومختص بها من غير زوال[7].

أما الرضا، هو الوقوف الصادق حيثما وقف العبد، فلا يلتمس متقدما ولا متأخرا، فهو من لوازم الحب الصادق[8] وثمرة من ثمراته، مقام كريم من مقاماتها، فالرضا بجميع ما يفعله المحبوب قدم في الحب راسخة، وغرة من غرر القوم شادخة[9].

مقام التوبة

هي سبب من أسباب المحبة، ومن أهم خطوات العلاج النفسي، وقد جعلها الله سبب حبه لعبده، جعلها ابن الخطيب أهم مقامات قسم البدايات، وهي الرجوع من المخالفة إلى الموافقة، ومن الظاهر إلى الباطن، ومن الخلق إلى الحق، وتدخل فيها اليقظة والإنابة والمحاسبة، بين متقدم ومصاحب ومتابع. فالتوبة من أسباب المحبة ومقدماتها، وهي علة في وجود المحبة، اتفقوا على أن المحبة أصل وعنصر وباب جامع لجميع مقامات الصوفية والأحوال الذوقية، وأن المقامات مندرجة فيها[10].

يتحقق ذلك بجلوس العبد على أعتاب خالقه وسيده، طالبا الرحمة والصفح والعفو، مداوما على ذكره بالقلب واللسان، لاهجا بأسمائه وصفاته، وآخذا بجميع الأسباب التي تقربه إلى حضرته العلية، فيفرح مولاه بلجوء عبده إليه، وبوقوفه على بابه يرجو رحمته التي وسعت كل شيء، وتزكى وتطهر منها كل شيء.

والناس في الدخول إلى أول عتبات التربية جميعا مقبولون! وهذا معنى عظيم جدا؛ فلا إقصاء لأحد! إذ التصوف يعتمد منزلة التوبة باب أملٍ للعباد كلهم بدون استثناء، مفتوحا دوما أمام القلوب في كل وقت وحين، يلجه السالك بوعيه ورغبته، ليتدرج بنفسه في منازل الترقية، وهنا يكمن نجاح الفكر الصوفي السني في الاستيعاب الشامل للمجتمع، والإدماج الكلي للناس في حضنه الدافئ.

مقام التقوى التواضع والرجوع إلى الله

إن الكبر والعجب والحسد، وغير ذلك من العيوب والأمراض التي تصيب القلب، تنتج عن الغرور، وعن النظر إلى النفس على أنها كاملة، وهذا منشأ التعصب، فحين يطغى وهم العجب والكبر على الفرد يحتقر الآخرين، ويتمسك بأنانيته، ويتوهم نفسه على حق والآخرين على باطل، وينكر حقهم في الاختلاف معه.

بينما يؤمن الصوفي بأن الكمال لله تعالى وحده. وأن علاج كل نقص بشري يتحقق بالرجوع إلى الله، والتواضع له، بأن يضع نفسه لما يعلم من خبثها حتى يراها دون كل مخلوق.

إن التقوى عقيدة وخُلق سوي، وهي سُلَّم إلى أعلى مراتب القرب والوصول، إذ هي، معاملة الله بحسن العبادة، ومعاملة العباد بحسن الخُلُق، وهي سبب لنيل خير الدنيا والآخرة، وتحصل بالمحافظة على المأمورات وتجنب المنهيات ما ظهر منهما وما بطن.

إن جميع المقامات والأحوال إما وسيلة إلى المحبة أو ثمرة من ثمراتها، فالمعرفة والشوق والوجد والصبر وسيلة إلى المحبة، أما الرضا والزهد والتوحيد فمن ثمار المحبة

مقام المحبة

يرى ابن الخطيب أن المحبة هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، فهي أصل وعنصر وباب جامع لجميع مقامات الصوفية والأحوال الذوقية، فما بعد المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها، كالشوق والأنس والرضا وأخواتها، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها[11]. وجميع المقامات والأحوال إما وسيلة إلى المحبة، فمن أجلها يجاهد الصوفي ذاته، ويزهد في الدنيا ومتعها، ويتواضع ولا يخالط قلبه عجب أو كبر أو رياء، ولا يدعي لنفسه شرفا أو علما أو جاها، أو فضيلة أيا كان نوعها، كما أن المحبة تثمر عدة ثمرات طيبة كالإرادة والشوق والخوف والرجاء والتوكل والرضا والتوحيد والمعرفة[12].

إنّ رصد مفهوم الحبّ في عرف واصطلاح الصوفيّة يستدعي توضيحه كمقام يبلغه المريد السالك بركوب الأهوال واتّخاذ جملة من الرياضات الروحية والمجاهدات النفسية، والمكابدات الجسديّة المضنية، فهو ليس حالا عارضا بقدر ما هو مقام راسخ ومنزل رفيع، يتوصّل إليه بارتقاء أسبابه، من هنا لابد من تعهّده لينمو ويستوي على سوقه.

التسامح ثمرة الحب الشريف

إن منبع الحب الشريف هو الإحسان، الذي يعد فكرة محورية في التصوف. لذلك فالصوفية لا يحملون العداوة نحو الناس، فهم يحبون الناس كلهم، ويتوسمون فيهم الخير، ويقابلون زلات الناس بالتسامح والبشرى، والبحث عن الأعذار، مراعاة للطبيعة البشرية الهشة، وحين تتحقق المودة والقبول يشيع التسامح والمحبة. يؤْثِر الصوفي الله على نفسه، وتبعا لذلك يؤثر على نفسه غيره من الناس، ويضحي بحقوقه من أجلهم ما دام في ذلك مرضاة لربه.

قال ابن الخطيب: من علامات محبة الله محبة كل من أحب الله ومن اختصه الله وقربه، أو نص كتابه على محبته إياه من ملك ونبي ورسول وولي ومؤمن وتائب ومتطهر ومحسن ومجاهد[13]. فمن أجل محبة الله، يحب الصوفي كل مخلوقات الله، بل إن محبة الخلق قنطرة يعبر عليها الصوفي إلى محبة ربه.

إن أول خطوة لتحقيق المحبة الإلهية تستوجب التحلي بالأخلاق الفاضلة. لذلك يؤكد في المؤلف كتابه أن التصوف خلق، وأن من زاد عليك في الخلق فقد أناف في التصوف، واندماج الأخلاق في التصوف تجسده المقامات التي تنتهي بالمحبة الشاملة السامية، التي تترجمها أخلاق العبد مع ربه ومع سائر الذين يشتركون معه في الإنسانية.

لم يتكلم ابن الخطيب عن التسامح بشكل مباشر، لكنه دعا إليه بالحديث عن الحب الشريف، والمقامات، والأحوال

إن (الحب الشريف) يكسب الأخلاق الصوفية طابعا دنيويا وأخرويا، لأن الغاية منها هي السعادة الأخروية، ونيل مقام الكشف والشهود في الدنيا، دون إغفال جانب رعاية حقوق الآخرين. لأن الحب كما صوره ابن الخطيب شجرة لها أغصان وأفنان وأوراق وثمار، وهي الأصل الذي تتفرع عنه الفضائل، فالمحبة شجرة، والنفوس الأرض التي تغرس فيها[14]. والأخلاق هو تعهد الشجرة بالرعاية والسقي، والبذر، واقتلاع الأصول القبيحة من الشكوك، وإزالة الأعشاب التي تضرها بالطبع، وتعاديها بالجوهر، وهي الأخلاق المذمومة، ثم بذر وغرس النباتات الطيبة وهي الأخلاق المحمودة[15]. فكما أن المحبة الإلهية هي أرقى المقامات، فإن التسامح هو أرقى الأخلاق. إنه ثمرة التدرج في المقامات، حيث يجاهد السالك نفسه، ليعدل سلوكه ويصحح مساره، نحو الارتقاء الذي يحتم عليه التواضع، والصبر، والاحتمال، فالمتصوف، يرى الآخرين، حتى المختلفين عنه، كلهم، رفاق طريق، ينشدون الحقيقة، ويرتوون من المعرفة الإلهية، وتتجلى فيهم صور الحق وصفاته وأسراره.

عبر ابن الخطيب عن تسامحه، من خلال منهجه في الكتابة أيضا، فقد تحدث عن جملة من مذاهب المحبين، وعرضها بتفصيل، ومن ضمنها مذاهب الاتحاد والحلول، والوحدة المطلقة، عرف بها، وناقشها وحللها، بروح متسامحة تتقبل الاختلاف وتقدره. فتح ابن الخطيب دوائر الانغلاق والتعصب، فلم يقف عند مذهب أو فكر معين، ولم يكفر أحدا، أو يسخر منه، فاستعرض آراء ممثلي الحب في كل الأديان والمذاهب.

وهذا التناول يعبر بوضوح عن دعوة ابن الخطيب إلى التسامح فكرا ومنهجا، لأن (الحب الشريف) حب جامع وموحد لمختلف النزعات الإنسانية. فالخلق كلهم يحومون حوله، فتذوب الفوارق بين العقائد والأديان، والألوان، والأعراق. بمحبة الله، تختفي الفروق بين الأديان، لأن جميع الخلق بدون تمييز، يلتقون في أحضان هذه المحبة، فهو القاعدة لإحلال السلم والأمن والتعايش، الذي لم يتحقق في ظل العبادات بسبب تنافر وجهات النظر.

لم يتكلم ابن الخطيب عن التسامح بشكل مباشر، ولم يخصص له مبحثا أو فصلا، لكنه دعا إليه من خلال فصول كتابه، بالحديث عن الحب الشريف، والمقامات، والأحوال.

تناول ابن الخطيب موضوع المحبة بمقاربة صوفية فلسفية، تتميز بالغنى وتنوع مصادر الآراء التي يمتح منها المؤلف، ما بين الكتب المقدسة من قرآن وسنة، وآثار الصحابة، وأقوال الأنبياء، وأولياء القوم، وإبداع الأدباء. منفتحا على الفكر الإنساني، وآراء الآخر المخالف له، والاستشهاد به، ولو كان مخالفا له في الملة.

1 ابن الخطيب السلماني، لسان الدين: روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق محمد الكتاني، الرباط، دار الثقافة، 1970، جزء1، ص18.
2 الناصري، أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (حققه جعفر ومحمد الناصري) الدار البيضاء، دار الكتاب 1997؛ ج4، ص13.
3 المرجع نفسه، جزء 2، ص466.
4 المرجع نفسه، جزء2، ص466.
5 المرجع نفسه، جزء1، ص328.
6 ابن الخطيب، المرجع نفسه، جزء1، ص407.
7 المرجع نفسه.
8 المرجع نفسه، جزء2 ص647.
9 المرجع نفسه، جزء1، ص408.
10 المرجع نفسه، جزء1، ص406.
11 المرجع نفسه.
12 المرجع نفسه.
13 المرجع نفسه، جزء2، ص642.
14 المرجع نفسه، جزء1، ص134.
15 عبد العزيز بن عبد الله، الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، دار الغرب الإسلامي، بيروت1983، ص65.

لغة عربية

الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

فرص وتحديات

يهدف المقال إلى تسليط الضوء على أهمية الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، والتعريف بأهم أدواته التي توفر بيئات تعليمية أفضل، كما يلقي الضوء على أهم التحديات التي تحدُّ من فرص الاستفادة من تلك الأدوات.

(ظهر الذكاء الاصطناعي في الخمسينيات من القرن الماضي، واستُخدم هذا المصطلح للمرة الأولى خلال مؤتمر جامعة (دارتمورث) بشأن الذكاء الاصطناعي في صيف عام 1956. وفي العقدين الأخيرين شهد الذكاء الاصطناعي تطوُّراً هائلاً ومُتسارِعاً ما زال مُستمِرّاً حتى الوقت الحاضر، وظهرت مفاهيم جديدة كالبيانات الضخمة، والتعلُّم العميق؛ الذي يعني إيجاد خوارزميات تسمح للآلة أن تتعلَّم بنفسها من خلال مُحاكاة الخلايا العصبية في جسم الإنسان).[1]

1 Russell, S. and Norvig, P. (2020) Artificial Intelligence: A Modern Approach. 4th edn. Pearson. p. 21.

د. أحمد مصرلي
أستاذ اللغة العربية المشارك بجامعة بورصا ألوداغ التركية

(لقد كان للذكاء الاصطناعي (AI) تأثير عميق في مختلف القطاعات، ولا سيما في قطاع التعليم، إذ أصبح الذكاء الاصطناعي أداة مهمة لتحسين جودة التدريس من خلال توفير بيئات تعلم ذكية وتفاعلية تسهم في تحسين مستوى التحصيل الدراسي للطلاب، وخاصة فيما يتعلق بتعليم اللغات).[2] والأمر ذاته ينطبق على تدريس

2 الشريف، أحمد (2021). تأثير الذكاء الاصطناعي على التعليم وتطوير المناهج. القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ص 72.

اللغة العربية، سواء للناطقين بها أو للناطقين بغيرها؛ حيث فتح الذكاء الاصطناعي آفاقًا جديدة لتسهيل تعلمها من خلال منصات ذكية، وتطبيقات لغوية، وأدوات تحليل النصوص، مما يجعل عملية التعلم أكثر كفاءة وفعالية.

إن اللغة العربية تتفرد ببنية لغوية تميزها عن اللغات الأخرى، سواء من حيث القواعد النحوية والصرفية أو أساليب الكتابة والنطق. لذلك، يساهم الذكاء الاصطناعي في تطوير أدوات تساعد في تبسيط تعلم العربية، خاصة للناطقين بغيرها، من خلال:

1- تطبيقات معالجة اللغة الطبيعية (NLP)

هذه الحروف اختصار لمصطلح (Neuro-Programming Linguistic)، وهي تقنية تعتمد على الذكاء الاصطناعي لفهم وتحليل النصوص بطريقة دقيقة، مما يساعد في تحسين مهارات القراءة والكتابة للطلاب، كما أن هذه التطبيقات قادرة على تقديم اقتراحات لتصحيح الأخطاء النحوية والإملائية؛ مما يعزز من إتقان اللغة.[3]

2- التعلم عبر التفاعل مع برامج الدردشة (Chatbots)

(تعد مشكلة النطق من أكبر التحديات التي يواجهها متعلمو اللغات، ولذلك طُورت تطبيقات تعتمد على الذكاء الاصطناعي لتحليل نطق الكلمات وتصحيحه، مما يساعد الطلاب على تحسين مهارات التحدث والاستماع بشكل فعال).[4]

كما أن (برامج الدردشة الذكية المدمجة بالذكاء الاصطناعي تساعد الدراسين على ممارسة اللغة من خلال محادثات تفاعلية نصيّة أو سمعية، وتصحح لهم أخطائهم اللغوية وتوفر لهم نماذج لغوية صحيحة).[5]

> **إن اقتناء الذكاء الاصطناعي لأدوات تحليل النصوص والتفاعل اللغوي قد جعل عملية تعلم العربية أكثر كفاءة وفعالية، خصوصًا للناطقين بغيرها**

3- أدوات الترجمة والتعلم المساعد:

(تم تطوير تقنيات ترجمة متقدمة تعتمد على الذكاء الاصطناعي، مثل:

Google Translate) ومترجم DeepL Translate)، التي تسهم في مساعدة الطلاب على فهم النصوص العربية بشكل أفضل، وتقديم ترجمات دقيقة تسهل تعلم المفردات والقواعد اللغوية).[6]

4- المنصات التعليمية الذكية:

(توفر المنصات التعليمية التفاعلية مثل (مدرسة) و(رواق) محتوى رقميًا مخصصًا لتعليم العربية للناطقين بغيرها، باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحليل مستوى المتعلم وتقديم دروس مناسبة له).[7]

5- الواقع الافتراضي والواقع المعزز:

(تساعد تقنيات الواقع الافتراضي Virtual) (Reality والواقع المعزز Augmented) (Reality في خلق بيئات تعلم أكثر تفاعلًا مع اللغة العربية؛ حيث يمكن للطلاب ممارسة التحدث في مواقف حقيقية تحاكي الحياة اليومية. ففي التقنية الأولى يُسمح بإنشاء بيئة رقمية مغمورة بالكامل في تجارب الواقع

3 Jurafsky, D. and Martin, J.H. (2021) *Speech and Language Processing*. 3rd edn. Pearson, p. 78.

4 الحسيني، ريم (2020). (دور الذكاء الاصطناعي في تطوير تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها)، مجلة العلوم التربوية والتقنيات الحديثة، 12(3)، ص. 95.

5 العلي، محمد عبد الرحمن(2021). الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في تعليم اللغة العربية. القاهرة: دار الفكر العربي، ص. 60.

6 العلي، محمد عبد الرحمن(2021). الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في تعليم اللغة العربية. القاهرة: دار الفكر العربي، ص. 78.

7 الحسيني، ريم (2020). (دور الذكاء الاصطناعي في تطوير تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها)"، مجلة العلوم التربوية والتقنيات الحديثة، 12(3)، ص. 101.

> **تحتاج تقنيات الذكاء الاصطناعي إلى كميات هائلة من البيانات اللغوية الدقيقة لتطوير أدائها في اللغة العربية، وهو ما يشكل تحديًا كبيرًا أمام تقدمها**

الافتراضي، أما في تقنية الواقع المعزز فيمكن مشاهدة عرض مركب للعناصر الحقيقية والعناصر الرقمية. وفي كلتا التقنيتين يمكن إضافة نصوص صوتية ومرئية تسهم في تعزيز فهم الطلاب للغة العربية).[8]

6- أنظمة التقييم الفورية:

(تقدم أنظمة الذكاء الاصطناعي اختبارات تقييمية تفاعلية تساعد المتعلمين على قياس تقدمهم اللغوي، كما تقدم لهم ملاحظات مباشرة حول أدائهم، مما يسهم في تحسين مهاراتهم بشكل مستمر).[9]

وعلى الرغم من الفوائد الكبيرة للذكاء الاصطناعي في تعليم العربية، إلا أن هناك بعض التحديات التي يجب معالجتها، ومنها:

1- تحديات متعلقة بالمعلمين:

في دراسة استطلاعية أجراها الباحث على (40) معلما ومعلمة للغة العربية للناطقين بغيرها حول (معرفتهم أو حصولهم على دورات تدريبية في الذكاء الاصطناعي) أظهرت أنَّ (47%) من العينة لديهم معرفة واطلاع على أدوات الذكاء الاصطناعي وبعضهم حصل على دورات تدريبية، بينما أبدى (20%) قلة معرفتهم به، وأظهر (33%) من العينة عدم معرفتهم بأي معلومات عنه.

وفي السؤال الثاني من الدراسة نفسها حول (توظيفهم لأدوات الذكاء الاصطناعي في تدريس اللغة العربية) أجاب (38%) من المعلمين والمعلمات بأنهم يستخدمونه في التدريس، بينما أبدى (13%) استخدامهم له بشكل قليل، وأظهرت الدراسة أن (50%) لا يوظفونه على الإطلاق.

نخلص من تلك النتائج إلى أن هناك حاجة ماسة لتنمية وعي المعلمين بأهمية الذكاء الاصطناعي والتعريف بأدواته، كما يجب إعداد برامج لتدريب المعلمين على كيفية توظيفه في تدريس اللغة العربية.

2- تحديات متعلقة باللغة العربية:

أ- ـدرة البيانات اللغوية الدقيقة: (تحتاج تقنيات الذكاء الاصطناعي إلى كميات هائلة من البيانات المدققة باللغة العربية لتطوير أدائها، وهو ما يشكل تحديًا كبيرًا؛ ولذا يجب حشد المختصين لإعداد مدونات ومكانز لغوية ضخمة لمواجهة تلك التحديات).[10]

ب- التعقيد اللغوي: (تتميز العربية بتنوع لهجاتها وأساليبها اللغوية، مما يجعل من الصعب تطوير أنظمة ذكاء اصطناعي قادرة على التعامل مع جميع السياقات اللغوية بدقة. ويجب إعداد فرق عمل متخصصة في اللسانيات لمواجهة ذلك التحدي، وتوظيف معاجم اللهجات في ذلك السياق).[11]

ج- الحاجة إلى تطوير محتوى تفاعلي: لا تزال بعض التطبيقات بحاجة إلى تحسين محتواها لتقديم تجربة تعلم أكثر شمولًا.

وفي الختام يجب التأكيد على أن للذكاء الاصطناعي أدوارا كبيرة في تطوير أساليب تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ حيث يمكن تحسين مهارات القراءة والكتابة عبر تطبيقات معالجة اللغة الطبيعية، ويمكن مواجهة مشكلات النطق عبر التفاعل مع برامج الدردشة، كما تسهم أدوات الترجمة في الوصول إلى ترجمات عالية الجودة، إضافة إلى دور المنصات التعليمية في توفير المواد التعليمية المناسبة لقدرات الطلاب، وفيما يتعلق بخلق بيئات تعلم أكثر تفاعلًا يمكن توظيف تقنيات الواقع الافتراضي والواقع المعزز، كما تسهم أنظمة التقييم الفورية في تقديم اختبارات تقييمية تفاعلية.

ومع استمرار التطور التكنولوجي، ينبغي للجهات التعليمية الاستثمار في تطوير تطبيقات ذكاء اصطناعي متخصصة لدعم تعلم العربية وتعزيز انتشارها عالميًا. كما ينبغي تعزيز استخدام المعلمين لها في الدرس اللغوي.

8 العلي، محمد عبد الرحمن(2021). الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في تعليم اللغة العربية. القاهرة: دار الفكر العربي. ص. 115.

9 الحسيني، ريم (2020). (دور الذكاء الاصطناعي في تطوير تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها"، مجلة العلوم التربوية والتقنيات الحديثة، 12، (3) ص. 110.

10 الحمادي، سامي (2020). تحديات الذكاء الاصطناعي في معالجة اللغة العربية. الرياض: دار المعرفة للنشر. ص 103

11 الزيدي، محمد(2019). تحديات الذكاء الاصطناعي في معالجة اللغة العربية: اللهجات واللهجات الفرعية. بيروت: دار الفكر العربي. ص. 58.

المحمية البحرية لجزيرة سنجانيب ودنقناب -جمهورية السودان - قائمة الإيسيسكو للتراث في العالم الإسلامي

لغة عربيـــة

التكويـن المستمـر

لتأهيل مدرسي العربية للناطقين بغيرها

يشهد مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها إقبالاً كبيراً في دول العالم الإسلامي الناطقة بلغات أخرى، إذ تزداد الحاجة إلى تكوين القيادات التربوية والمدرّسين العاملين في مجال تعليم اللغة العربية، والرفع من كفاءاتهم من أجل تطوير المناهج العربية واستراتيجيات تعليمها، وهو ما يقتضي أن يكون مدرس اللغة العربية للناطقين بغيرها متابعاً للمستجدات التعليمية، ومستفيداً منها بغية تطوير كفاءاته التدريسية من خلال المشاركة في ورشات عمل تدريبية، ودورات مكثفة يتعرّف فيها على استراتيجيات التربية والتعليم، والطرق الحديثة في تدريس مختلف موادّ اللغة العربية ومهاراتها، مما يمكنه من التغلب على التحديات والصعوبات التي تعترض مسار العملية التعليمية.

د. يوسف إسماعيلي

خبير في مركز الإيسيسكو للغة العربية للناطقين بغيرها

المملكة المغربية

وإسهاماً من منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة - الإيسيسكو -، من خلال مركزها المتخصص في اللغة العربية للناطقين بغيرها، في الارتقاء بالكفاءة التربوية للأطر العاملة في هذا المضمار، وفي تفعيل أدوارهم التعليمية والتربوية والحضارية والتنموية، يعمل المركز في مجال دعم اللغة العربية ونشرها بين الناطقين بغيرها، وإيلاء التدريب والتأهيل الدوريّيْن للأطر التربوية المختصة، وخاصة القيادية منها، عناية خاصة من أجل إكسابها مهارات التوجيه التربوي، والتقييم والتخطيط، والتكوين والتدريس الفعّال، والتركيز في ذلك على الأوراش والدورات التكوينية المكثفة.

وتعد برامج التأهيل في المؤسسات المتخصصة القائمة على المقاربات اللسانية التعليمية الحديثة من الوسائل المعاصرة الفعالة في تنمية مهارات المتعلم وبناء كفاياته، والارتقاء بقدرات الأطر التربوية في مجال استخدام الوسائط الرقمية التربوية وإنتاجها.

1. اللسانيات التعليمية رافد أساس في تكوين معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها

تسهم النظريات اللغوية الحديثة في طرح مجموعة من النظريات والتصورات والمقاربات في مجال تعليم اللغات وتعلمها تنظيراً وتطبيقاً. وقد استفادت اللغة العربية من هذه النظريات والتصورات والمقاربات، حيث أسهمت

اللسانيات التطبيقية بفروعها المتعددة وخاصة اللسانيات التعليمية، في إضفاء المزيد من النجاعة على برامج تعليم اللغة في كافة المستويات، والتغلب على صعوبات تعلمها، وتطوير استراتيجيات تدريسها، خاصة للناطقين بغيرها، فجاءت بذلك لتجيب عن سؤال كيف نـدرس اللغة؟

وهكذا أصبح مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها مجالا خصبا مستفيدا من التطورات اللسانية التعليمية، وهو ما يقتضي أن يكون مدرس اللغة العربية للناطقين بغيرها متابعا للمستجدات والاستراتيجيات التربوية، ومستفيدا منها، بغية تطوير كفاءاته التدريسية خاصة في تنمية المهارات اللغوية الأربعة لدى طلابه؛ الاستماع والمحادثة والقراءة، ثم الكتابة. ولا يمكن لمدرس اللغة العربية، خاصة الناطق بغيرها، أن يستفيد من هذه المستجدات اللسانية والتربوية إلا بالمشاركة في ورشات عمل تدريبية مكثفة يتعرّف من خلالها

> **لا يمكن لمدرس اللغة العربية، خاصة الناطق بغيرها، أن يستفيد من هذه المستجدات اللسانية والتربوية إلا بالمشاركة في ورشات عمل تدريبية مكثفة**

على مستجدات التربية والتعليم والاستراتيجيات والطرق الناجحة والأنجع في تدريس مختلف موادّ اللغة العربية وعناصرها.

2. القدرات التواصلية للمدرس وتكوينه المستمر

تهدف عملية تدريب مدرسي اللغة العربية للناطقين بغيرها إلى أن تكون لهم قدرات

تواصلية واجتماعية في المحيط المؤسسي، حيث يوضح العقد التعليمي دور مدرس اللغة ومتعلمها وعلاقتهما، وإن تسيير التفاعلات المتعددة التي تظهر أثناء الدرس ينبني على توزيع جيد للأدوار في إطار عقد ترابطي محدد عادل ومنصف، فعلى المدرسين الحفاظ على النظام في فصولهم، والتواصل مع المتعلمين حسب مستوياتهم المعرفية، مع السعي إلى تعرف كل متعلم والوسط الذي أتى منه.

كما يتيح التدريب المستمر لمدرس اللغة العربية مستوى الكفاية المعرفية اللازمة في التعلمات التي يدرسها، فالمدرس الذي لا يتقن فن الحساب لا يستطيع تدريس الرياضيات للمتعلمين، كذلك المدرس الذي لا يعرف المهارات اللغوية والتواصلية وكيفية تنميتها فإنه يفشل في التغلب على الصعوبات التي يعاني منها المتعلم.

3. أهداف التكوين المستمر للمدرس ومحاوره

يهدف التكوين المستمر لمدرس اللغة العربية للناطقين بغيرها في الدول الناطقة بلغات أخرى إلى تطوير كفاءات المشاركين وقدراتهم التدريسية من خلال الاستفادة من مستجدات اللسانيات التعليمية، وتعرفهم على الاستراتيجيات التربوية والخطوات الإجرائية في تدريس

> **يهدف التكوين المستمر لمدرس اللغة العربية للناطقين بغيرها في الدول الناطقة بلغات أخرى إلى تطوير كفاءات المشاركين وقدراتهم التدريسية من خلال الاستفادة من مستجدات اللسانيات التعليمية**

مختلف الموادّ لتنمية المهارات اللغوية الأربع (الاستماع – المحادثة – القراءة – الكتابة) حسب المستويات (المرحلة الابتدائية – المرحلة المتوسطة – المرحلة المتقدمة).

ولعل المحاور التي يركز عليها التكوين المستمر للمدرس تكمن في التعريف بالتحديات والصعوبات التي تواجه تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في البلد المستفيد، وتوضيح أدوات تقويم (تقييم) مستويات تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها، لتنمية المهارات اللغوية والتواصلية، بالإضافة إلى كيفية إعداد دروس تكميلية مدعمة للرفع من استراتيجيات المدرس في التعليم وتعلمات المتعلم.

4. التحفيز وأثره في تطوير تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها

يعد التحفيز عملية في بالغ الأهمية لتطوير منهجية المدرس في الصف، حيث إن تحفيز المدرس من شأنه أن يعيد الاعتبار لمكانة المدرس وإعطائه قيمة عالية؛ إذ إن الموضوع هنا لا يتعلق بالمعرفة، فكلنا قد يحصل على الكثير من المعلومات والمعارف والإستراتيجيات عن طريق البحث في الحاسوب والشابكة أو في كتاب ما... لكن كل هذا لا يضمن النجاح في تدريس المتعلمين بالطريقة المرادة. وعليه ينبغي البحث عن سبل أخرى للنجاح في التدريس.

تعتبر عملية تغيير اتجاهات مدرسي اللغة العربية في العالم الإسلامي الناطقة بلغات أخرى في إطار النظام العام للتربية أمرا له قيمة علمية كبيرة، حيث إن التغيير في إطار النظام التربوي يقتضي أن تضع مدرس اللغة

يعد التحفيز عملية في بالغ الأهمية لتطوير منهجية المدرس في الصف، حيث إن تحفيز المدرس من شأنه أن يعيد الاعتبار لمكانة المدرس وإعطائه قيمة عالية

العربية للناطقين بغيرها في إطار النظام التعليمي وتوضح له الهدف العام وخارطة طريق لتحقيقه، لأن التكوين المهني للمدرس يفضي إلى تغيير في أدائه التعليمي ومن تم تحقيق نتائج ملموسة بالنسبة للتعلم لدى المتعلم، وآنذاك سيغير المدرس من اعتقاداته واتجاهاته نحو طرق تدريسه.

إن تحفيز المدرس على تطوير قدراته التعليمية تصحبه صعوبات نظرية، لكن بمجرد وجود مبادرة حقيقية وخطوة فعلية تتجلى في تطبيق واقعي مع مدرّب متخصص في اللغة العربية للناطقين بغيرها تذوب هذه العوائق.

وفي هذا الإطار نؤكد على أن كل تدريب مهني يُحدث تطورا كبيرا في أداء مدرسي اللغة العربية للناطقين بغيرها في المجتمعات الناطقة بلغات أخرى، لكنه لا يضمن تحقيق التحفيز والتغير الفعلي في اتجاهات المدرس ومعتقداته، بل إن التحفيز والتغيير الحقيقي يكمن في النتائج التي يحققها المتعلمون من خلال تطوير تعلماتهم اللغوية وحبهم لتعلم العربية، ومن ثم يمكننا القول إن المدرس قد غير من اتجاهاته وطورها في التعليم من خلال التحفيز الحقيقي.

فالنقطة الأساس التي ينبغي التركيز عليها في هذا الصدد تتمثل في وجوب فهم معتقدات المدرس وما الذي يفكر فيه كجزء من برنامج تكوين المدرسين، لأن فهم معتقدات المدرس يسهم في تدريب المعلمين تعليما جيدا.

خلاصة

وهكذا، يتطلب التكوين المستمر للمدرس الوقت الكافي للتدريب الموجه من مدربين متخصصين في مجال اللغة العربية للناطقين بغيرها، حيث يشارك المدرسون ورشات تكوينية في مراكز التكوين أو داخل الصفوف بإشراف المتخصصين مما يتيح للمدرس تطوير إستراتيجياته التعليمية، كما ينبغي خلق بيئات تعليمية يتدرب فيها المدرسون على تطبيق ما تعلموه من الخبير المتخصص قبل مباشرة العمل مع المتعلمين، وبهذه الطريقة يكون هناك تبادل مستمر من شأنه أن يحسن الممارسة داخل الصف والمناهج وطرق التكوين. ومن هنا، فإن الورشات والدورات التدريبية لمعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها تشكل جزءًا مهما من التكوين الأساس لتقييم وتقويم الخبرة التطبيقية للمدرسين والخبرة النظرية لمؤسسات التكوين.

تـــراث

السبيل

إرواء عطش المارة لوجه الله

د. خالد عزب
باحث في التراث
مصر

شرف سقاية الناس وتسهيل الحصول على الشرب في المنطقة العربية عامة قديم جداً

السبيل مكان لاستسقاء الماء. وفي اللغة أسبل المطر بمعنى هطل. وقد يذكّر الاسم ويؤنث. قال ابن السكيت يجمع على التأنيث سبول وأسبلة وعلى التذكير سبل.

و المراد بالسبيل المواضع المعدة و المجهزة لسقي المارة في سبيل الله و لوجه الخير، و بناء الأسبلة من الأعمال الخيرية الجاري ثوابها على أربابها بعد الموت ما دامت باقية منفعتها. و الحق أن شرف سقاية الناس وتسهيل الحصول على الشرب في المنطقة العربية عامة قديم جداً و معروف لاسيما وأن البيئة بجوها الحار و بيئتها المتربة قد جعلت التباري في إنشاء هذه الأسبلة من أجلّ الخدمات للناس. ويذكر

عرفت الأسبلة في العصور المبكرة بالسقايات وانتشرت في مدينة بغداد في العصر العباسي

أن أشراف قريش قبل الإسلام قد تباروا في أخذ السقاية بجوار الكعبة لأن فيها رفعة لهم بين قومهم و إعلاءً لشأنهم.

ونجد أن الروح الطيبة الخيرة قد سعت وراء إيجاد مصدر مستمر للماء و تسهيله للناس في أوقات الحر و الظمأ وظلت هذه الروح قائمة حتى الآن، عرفت الأسبلة في العصور المبكرة بالسقايات وانتشرت في مدينة بغداد في العصر العباسي. بنيت الأسبلة كمنشآت لتخزين الماء، لتقديمه بعد ذلك للمارة لإرواء عطشهم. أقدم ورود معروف لذكر السبيل في الكتابات الأثرية التأسيسية كان سنة (470هـ/1077-1078م) في مدينة دمشق حيث يوجد نص على سبيل بحي عمرا يقرأ (أنشأ هذا السبيل المبارك السعيد العبد الفقير إلى الله تعالى الحاج محمد الجبوري عفى الله عنه سنة سبعين و أربعماية).

وأقدم ورود لذكر الأسبلة في القاهرة يرجع لعصر الظاهر بيبرس حيث كان ملحقاً بمدرسته سبيل.

تنقسم الأسبلة إلى الأنواع الآتية:

أولاً: السبيل المستقل

هو سبيل قائم بذاته كوحدة معمارية.

النوع الثاني: السبيل ذو الكتّاب

يكون غالباً في الطابق الثاني منه عل سطح الأرض أو فوقه بقليل حجرة السبيل أما الطابق الثالث فهو الكتّاب الملحق. وأقدم هذا النوع من الأسبلة ذات الكتاتيب في مصر هو سبيل المنصور قلاوون.

أقدم ورود معروف لذكر السبيل في الكتابات الأثرية التأسيسية كان في مدينة دمشق "أنشأ هذا السبيل المبارك السعيد العبد الفقير إلى الله تعالى الحاج محمد الجبورى عفى الله عنه سنة سبعين وأربعماية"

النوع الثالث: الأسبلة و الكتاتيب الملحقة

هذا النوع من الأسبلة يكون ملحقاً بكثير من المنشآت المعمارية مثل المساجد و المدارس و الوكالات و الخانقاوات والمنازل، ففي زيادة أحمد بن طولون الجنوبية الغربية ألحق السلطان لاجين سنة 656هـ/1296م سبيلاً و كتاباً جدده فيما بعد السلطان قايتباي. وسبيل وكتاب قايتباي بالصحراء بالقاهرة وهو ملحق بمدرسة قايتباي 879هـ/1474م، وسبيل ملحق بقبة الغوري 909هـ/1503م. ومن البيوت التي لا يزال بها سبيل للآن هو بيت الكريدليه من القرن 16،17م. كما ألحق بالعديد من منازل مدينة رشيد أسبلة كمنزل البقراولي ومنزل عصفور ومنزل محارم.

طرز السبيل

لعمارة السبيل طرز خاصة تفنن فيها المهندس المسلم. وتذكر المصادر التاريخية و الفنية أنه جرت العادة بأن يلحق السبيل بواجهات المنشآت الدينية لاسيما في زاوية البناء على الطريق، فالأسبلة من المرافق التي ألحقت بالمنشآت الدينية مع المحافظة على خط تنظيم الشوارع التي كانت أخذت في الأتساع. وقد استطاع المهندسون أن يوائمون بين البناء المضاف و الأصلي بطرق عديدة ابتدعوها وظهرت بشكل واضح في عصر المماليك الجراكسة وذلك بإقامتها في نواصي منشآتهم.

و يمكننا أن نقسم طرز الأسبلة إلى أربعة طرز هي :

أولاً: طراز السبيل ذو الحجاب

هـذا الطـراز مـن الأسـبلة يكـون دائمـاً فـي زاويـة المبنـى الملحـق بـه. ويتكـون مـن مسـاحة مربعـة أو مسـتطيلة يرتكـز سـقفها علـى عامـود أو أكثر، ويغطـي واجهـة السـبيل حجاب مـن الخشـب الخـرط بـه فتحـات يسـبل منهـا المـاء فـي أحـواض. وأقـدم مثـل لهـذا النـوع مـن الأسـبلة بالقاهـرة هـو سـبيل النـاصر محمـد بـن قلاوون 726هـ/1326م. هـذا النـوع مـن الأسـبلة لا يوجـد بـه لـوح السلسـبيل لتبريـد المـاء، وإنمـا كان التسـبيل يتـم عـن طريـق الأحـواض مباشـرة، يعلـو بعـض هـذه الأسـبلة كتـاب لتعليـم أيتـام المسـلمين القـراءة و الخـط و القـرآن الكريـم.

> **يمكننا أن نقسّم طرز الأسبلة إلى أربعة هي: السبيل ذو الحجاب، وذو الشباك الواحد وذو الشباكين والسبيل ذو الثلاثة شبابيك**

ثانياً: طراز السبيل ذو الشباك الواحد :

هـذا النـوع مـن الأسـبلة يكـون غالبـاً ملحقـاً بأحـد المسـاجد أو المـدارس أو الخانقـاوات أو المنـازل. و يكـون عـادة علـى الطريـق العـام علـى يـمين أو يسـار المدخـل. والسـبب فـي كونـه ذا شـباك واحـد هـو أن المسـاحة التـي شـيد فيهـا المسـجد أو المدرسـة لا تسـمح بـأكثر مـن ذلـك حيـث يكـون ملاصقـاً لهـا بعـض المبانـي ممـا يجعـل المهنـدس يقـتصر علـى جعـل السـبيل بشـباك واحـد. ومـن أمثلـة هـذا النـوع مـن الأسـبلة سـبيل ملحـق بمدرسـة جمـال الديـن الإسـتادار بالقاهـرة 811هـ/1408م، وسـبيل منـزل الميزونـي وسـبيل منـزل حسـيبة غـزال برشـيد.

تخطيـط هـذا النـوع مـن الأسـبلة مـن الداخـل عبـارة عـن حجـرة مربعـة أو مسـتطيلة حسـب المسـاحة المتبقيـة مـن الواجهـة، ويوجـد فـي هـذا الطـراز مـن الأسـبلة فـي بعـض الأحيـان دخلـت للشـاذروان [1]، وفـي كثيـر مـن الأحيـان لا توجـد هـذه الدخلـة. إلا أن كل أسـبلة هـذا الطـراز و غيـره تشـترك فـي وجـود صهريـج للمـاء عليـه خـرزة مـن الرخـام. كمـا تـشترك هـذه الأسـبلة السـابقة فـي كونهـا ذات شـباك واحـد عليـه مصبعـات مـن النحـاس أو الحديـد علـى الطريـق العـام و بأرضيتهـا مـن الداخـل حـوض مـن الرخـام يسـيل منـه المـاء. ومعظـم هـذه الأسـبلة لهـا كتّـاب فوقهـا، يسـتثنا مـن ذلـك الأسـبلة الملحقـة بالمنـازل.

ثالثا: طراز السبيل ذو الشباكين

يكـون هـذا النـوع مـن الأسـبلة فـي أركان المسـاجد و المـدارس والمنـازل، بـل حتـى فـي بعـض الأسـبلة مسـتقلة بذاتهـا، و مـن أمثلـة هـذا النـوع مـن الأسـبلة سـبيلاً خانقـاة النـاصر فـرج بـن برقـوق 803هـ/1400م. وسـبيل فـرج بـن برقـوق الملحـق بزاويتـه و سـبيل ملحـق بمدرسـة قجمـاس الإسـحاقي 885-586هـ/1480-1481م بالقاهـرة، وفـي سـبيل منـزل عصفـور ومنـزل البقراولـي برشـيد.

سبيل الست صالحة - القاهرة

1 الشاذروان: كلمة فارسية وهي تدل في الأسبلة على لوح رخامي تجرى عليه المياه لتبريدها ثم تجمع في فسقية أسفله من الرخام.

سبيل السلطان الغوري بالقاهرة عن ماكس هرتز

تفاصيل زخرفية من شباك سبيل السلطان الغوري

رابعاً: طراز السبيل ذو الثلاثة شبابيك

هذا النوع من الأسبلة ذات الثلاثة شبابيك شيد مفرداً بذاته كوحدة سبيل و كتّاب قائمة بذاتها. ومن أمثلة هذا النوع من الأسبلة سبيل السلطان قايتباي بمنطقة تحت الربع (مندثر)، وقد يكون هذا النوع من الأسبلة ملحقاً بمدرسة مثل سبيل خاير بك 908هـ/1503م وواجهات تلك الأسبلة تكون بارزة عن مستوى واجهة البناء الأصلي.

تختلف طرز الأسبلة وتتنوع إلا أن عمارتها تقوم في الغالب على أسس نظرية واحدة إذ تتكون عادة من ثلاث طبقات

سبيل مصاصة - القاهرة القرن 19 م

طراز الأسبلة العثمانية

بدأت الأسبلة العثمانية تتبلور منذ عصر السلاجقة في منطقة الأناضول و ما زال العديد منها باقيا إلى اليوم و منها على سبيل المثال سبيل كوك مدرسة في سيواس

الـذي شـيد عـام 1272م. تبلـورت عمـارة هـذه الأسـبلة أكثر فـأكثر فـي مدينـة اسـتنبول، حيـث نجـد حجـرة السـبيل مستطيلة أو مربعة تختلف في مساحتها حسب المساحة المخصصة للبناء، وتطل على الشارع بوجهة مقوسة، كما يوجـد بهـذه الواجهـة ثلاثـة شـبابيك للتسـبيل فـي دخلات ذات عقـود قوسـية، يتوجهـا دخلات أكبر و بنفـس الهيئـة ترتكـز علـى أعمـدة رخاميـة، و قـد يزيـد عـدد شـبابيك هـذه الواجهـة فنراها فـي سـبيل معمـار سـنان الـذي يعـود إلـى القـرن 16م خمسـة شـبابيك ووصلـت فـي سـبيل السـلطان أحمـد الثالـث إلـى اثنـي عشـر شـباكاً، والـذي شـيد عـام 1728م.

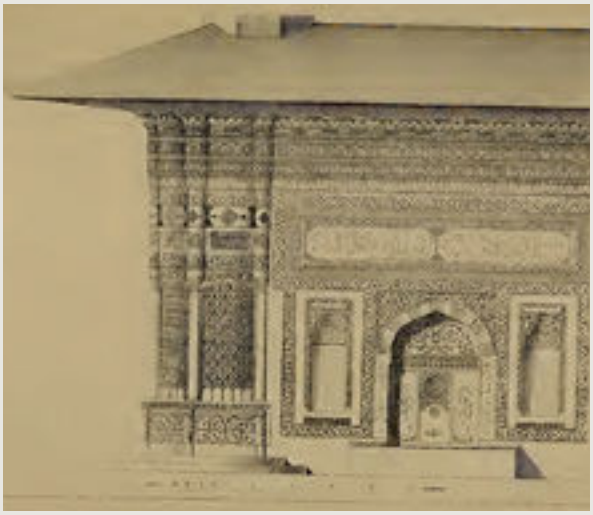

سبيل السلطان مراد الثاني - استنبول

سبيل السلطان أحمد الثالث - استنبول

عمارة السبيل

اختلفـت طـرز الأسـبلة و تنوعـت إلا أن عمارتهـا تقـوم فـي الغالـب علـى أسـس نظريـة واحـدة إذ تتكـون عـادة مـن ثلاث طبقـات:

- **الطبقـة الأولـى:** تكـون تحـت الأرض و هـي الصهريـج. كانـت الصهاريـج تبنـى عـادة بالآجـر و الخافقـي فـي تخـوم الأرض لحفـظ الميـاه وكانـت لهـا قبـاب غيـر عميقـة أي ضحلـة - مقامـة علـى دعامـات وقناطـر مـن الحجـر المنحـوت. تغطـى فوهـة الصهريـج بخـرزة مـن الرخـام الصلـد ويكـون شـكلها فـي الغالـب مسـتديراً. و لـم تقتصـر بعـض الأسـبلة علـى بنـاء صهريـج واحـد وكانـت هنـاك أنـواع مـن الأسـبلة بنـى بهـا أكثر مـن صهريـج. مثـال ذلـك سـبيل السـلطان قايتبـاي الملحـق بوكالتـه بالأزهـر حيـث يوجـد بـه صهريجـان لحفـظ الميـاه. و كانـت لهـذه الصهاريـج منـازل عبـارة عـن سلالـم ضيقـة يطلـق عليهـا سـلم طرابلسـي. كانـت هـذه الصهاريـج تـملأ سـنوياً فـي وقـت يحـدده الواقـف عليهـا، حيـث يتـم تنظيفهـا ومسـح مـا علـق بهـا مـن الفطريـات ثـم تـملأ بالروايـا. و تشـترك كل الأسـبلة فـي أشـكالها علـى صهريـج المـاء، وهـو المصنـع المبنـي تحـت الأرض لخـزن الميـاه للسـبيل يـملأ منـه حتـى ينفـد مـاؤه علـى ميعـاد ملئـه مـن السـنة التاليـة.

عرفت المدن العربية طراز السبيل العثماني فالواجهة قد استدارت بعد أن كانت مربعة أو مستطيلة فتعددت شبابيكها التي تكسوها شبكات من النحاس أو الحديد على هيئة قشور السمك

◆ **الطبقـة الثانيـة:** تكـون فـي مسـتوى الأرض أو فوقهـا بقليـل حيـث حجـرة السـبيل و هـذه الحجـرة تكـون مربعـة أو مسـتطيلة حسـب مسـاحة البنـاء. و أرضيـة هـذا الطابـق هـي سـقف الصهريـج الـذي أسـفلها و توجـد بهـذه الحجـرة الشـبابيك التـي عليهـا مصبعـات البرونـز أو الحديـد أو النحـاس وفـي أرضيتهـا توجـد أحـواض الشرب و تكـون ملاصقـة للشـبابيك مـن الداخـل. هـذه الأحـواض تكـون عـادة بعـدد شـبابيك حجـرة السـبيل. وهـي موصلـة بأقصـاب مـن الرصـاص حيـث الحـوض الـذي يوجـد بأسـفل السلسـبيل والـذي تجمـع فيـه الميـاه المسـبلة.

و إذا كان عـنصر الصهريـج أساسـي فـي بنـاء السـبيل، فإننـا نجـد أن عنصر السلسـبيل ليس بنفس الأهميـة التي حظيت بها الصهاريـج، إذ وجـد كثيـر مـن الأسـبلة بـدون سلسـبيلات و يتـم التسـبيل فـي هـذه الحالـة فـي الأحـواض مباشـرة. وربمـا كان مرجـع ذلـك إلـى صغـر حجـم هـذه الأسـبلة. أمـا فـي الأسـبلة الكبيـرة فيوجـد فـي صدرهـا سلسـبيل فـي الغالـب.

لفـظ سلسـبيل العربـي هـو نفسـه لفـظ شـاذروان باللغـة الفارسـية. وللكلمـة أكثـر مـن معنـى لعـل أهمهـا السـطح البـارز، وهـو لـوح مـن الرخـام الممـوج أو المنقـوش دالات أو مـروق و تكـون هـذه النقـوش بـارزة و مموجـة. و يسـمى الجـزء السـفلي مـن السـبيل باسـم صـدر سـفلي يعلـوه صـدر علـوي أو قبـة الشـاذروان. و تكـون هـذه القبـة مـن الخشـب أو الحجـر المقرنـص و يعلـو هـذه القبـة طاقيـة مجوفـة و مخوصـة، و كان الصـدران العلـوي و السـفلي يوضعـان فـي تجويـف مسـتطيل بصـدر حجـرة السـبيل. و يوجـد بأسـفل السلسـبيل عـادة صحـن أو حـوض مـن رخـام ملـون أو فسـقية مـن رخـام الخـردة.

◆ **الطبقـة الثالثـة:** و يكـون الطابـق الثالـث فـي الغالـب الأعـم مـن الأسـبلة عبـارة عـن قاعـة الكتّـاب وهـو مـكان لتعليـم أيتـام المسـلمين، وعلـى الرغـم مـن ذلـك فقـد وجـدت بعـض الأسـبلة لا يوجـد بهـا فـي الطابـق الثالـث قاعـة للـدرس بـل قاعـات للسـكنى.

و علـى أيـة حـال فـإن الكتّـاب يأخـذ نفـس شـكل المسـقط الأفقـي لحجـرة السـبيل الموجـودة أسـفله. فـإذا كانـت حجـرة السـبيل مربعـة أو مسـتطيلة كان الكتّـاب علـى شـاكلتها، وكذلـك مـن حيـث كونهـا بشـباك أو شـباكين أو ثلاثـة شـبابيك حسـب طـراز السـبيل.

و كانـت تقـام علـى واجهـات الكتّـاب عقـود مدببـة أو نصـف دائريـة و يغطـي جوانبـه السـفلية المطلـة علـى الطريـق حجـاب مـن الخشـب الخـرط. كمـا يعلـو العقـود ظلـة مائلـة مـن الخشـب لهـا شـرافات (رفـرف) تلـف حـول واجهـات كتـاب السـبيل. وقـد يكـون للكتـاب بـاب خـاص بـه مثـل سـبيل السـلطان قايتبـاي الملـق بوكالتـه بالأزهـر 881هـ/1477م أو يصعـد إليـه بـدرج مـن داخـل السـبيل مثـل سـبيل أزبـك اليوسـفي 900هـ/1495م.

طريقة تشغيل السبيل

يوجـد بمعظـم الأسـبلة ذات السلسـبيلات فـي خلـف الصـدر العلـوي حـوض كبيـر ترفـع إليـه الميـاه عـن طريـق صهريـج السـبيل. ثـم ينزل المـاء عـن طريـق أقصـاب مغيبـة فـي الجـدران حتـى يصـل إلـى حـوض آخـر فـي واجهـة السـبيل يسـمى قرقـر أو قرقـار و يكـون موضعـه بأعلـى السـطح المائـل مباشـرة. وهـذا الحـوض يكـون منقوشـاً و أحيانـاً أخـرى يكـون ملمعـاً بالتذهيـب. تتجمـع الميـاه فـي هـذا القرقـر ثـم تنسـاب علـى السـطح البـارز المائـل ببـط ء متخللـة التعاريـج الموجـودة علـى السـطح فتتعـرض للهـواء أكبـر وقـت ممكـن حتـى تبـرد ثـم تجمـع مـرة أخـرى فـي حـوض أسـفل اللـوح البـارز مبـاشـرة، ويصـرف المـاء المتجمـع فـي هـذا الحـوض عـن طريـق أقصـاب مغيبـة فـي باطـن الأرض موجهـة إلـى الشـبابيك المطلـة علـى الطريـق حيـث توجـد أحـوض الشـرب بداخـل أرضيـة الشـبابيك فيأخـذ النـاس مـن هـذه الأحـواض ميـاه عذبـه بعـد أن يضيـف إليهـا المزملاتـي مـاء ورد لتعطيرهـا. و يكـون الشـرب بواسـطة كيـذان أو أكـواب مـن النحـاس مربوطـة فـي سلاسـل بشـباك السـبيل.

عرفـت المـدن العربيـة طـراز السـبيل العثمانـي فالواجهـة قـد اسـتدارت بعـد أن كانـت مربعـة أو مسـتطيلة فتعـددت

من أهم العاملين بالأسبلة المزملاتي وهو الموظف المختص بالعمل في السبيل والذي عليه أن يقوم بتسبيل الماء للناس و ملء الصهريج الخاص بالسبيل ووضع ماء الورد في أحواض الشرب و تنظيف المبنى

شبابيكها التي يغشيها شبكات من النحاس أو الحديد على هيئة قشور السمك. وفي أسفل الشباك توجد فتحات للشرب على هيئة عقود صغيرة.

كانت المياه بالأسبلة العثمانية تسبل بطريقتين، الأولى وهي الطريقة التقليدية عن طريق أكواب الشرب المربوطة بسلاسل في الشبابيك. أما الطريقة الثانية الجديدة فكانت عملية الشرب عن طريق بزبوز من النحاس يخرج من لوح رخامي. و هو موصل بماسورة على هيئة ملتوية تتصل بحوض الماء بالداخل. وتتم عملية الشرب عن طريق السحب بالفم من هذا البزبوز.

العاملون بالسبيل

يوجد بكل مبنى من هذه المباني الخيرية عدد من العاملين يقومون على خدمته و العمل على سير المنشأة و إظهارها في أحسن صورها ليكون النفع بها أعم و تكون الحسنة مقبولة. و من أهم العاملين بالأسبلة المزملاتي وهو الموظف المختص بالعمل في السبيل و الذي عليه أن يقوم بتسبيل الماء للناس و ملء الصهريج الخاص بالسبيل ووضع ماء الورد في أحواض الشرب و تنظيف المبنى و رش واجهته. كما يقوم بحراسة أواني الشرب، و إلى جانب هذه الوظائف المتعددة للمزملاتي، أيضا كان عليه أن يقوم بتنظيف الكتّاب الملحق بالسبيل ويتولى إنارة السبيل من الداخل و الخارج. و اشترطت بعض الوقفيات أن يكون المزملاتي مقيماً بسكن خاص ملحق بالسبيل له و لعائلته. وفي كثير من الأحيان كان يقيم خارج السبيل إلا أنه كانت له حجرة خاصة به لإحراز أواني الشرب و متعلقات السبيل.

و قد تطلب الواقفون على الأسبلة اشتراطات كثيرة أخذوها على المزملاتي لشغل هذه الوظيفة كأن يكون سالماً من العاهات والأمراض بخاصة الجذام. و أن يكون عفيفاً ديناً خيراً و أن يسهل الشرب على الناس. و يعاملهم بالحسنى و الرفق ليكون أبلغ في إدخال الراحة على الواردين.

كان المزملاتي يأخذ مرتباً من النقود شهرية و كمية من القمح إلى جانب أرطال من الخبز يومياً. و إلى جانب المزملاتي كان يوجد بالسبيل عدد من العاملين بالأسبلة نذكر منهم الفرّاش الذي كان عليه أن يقوم بتنظيف السبيل من الخارج و ما حوله. و إن كان هناك أيضا من ضمن الوظائف الكناس الذي يتولى الكنس، و السباك الذي كان عليه أن يتولى عمل ما يحتاج إليه السبيل من ترميم الأقصاب و الميازيب و المجاري، و المرخّم الذي كان يتولى ما يحتاج إليه السبيل من ترميم، كما ألحقت ببعض السبل ساقية يعين لها سواق يتولى إدارتها و سوق الماء من بئرها إلى حاصل مائلها و يقوم بتركيب القواديس للساقية هذا إلى جانب تقديم العلف للماشية.

سبيل عبد الرحمن كتخدا - القاهرة

إيسيسكو
ICESCO

مسابقة
مـــدن القصائـــد
سمرقند عاصمة للثقافة
في العالم الإسلامي 2025

يسر منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة وضمن مشروعها (عواصم الثقافة في العالم الإسلامي) أن تعلن عن إطلاق الدورة الثانية من مسابقة

مدن القصائد:

والتي ستخصص هذا العام لمدينة سمرقند بجمهورية أوزبكستان

شروط المسابقة:

- أن تلتزم القصيدة المكتوبة بالعربية بأوزان الشعر العربي (عمودي أو تفعيلة) وأن تلتزم القصيدة الأوزبكية الشروط الوزنية والجمالية للشعر الأوزبكي
- أن تستلهم القصيدة القيم والجماليات والتاريخ والجغرافيا وعبقرية المكان وسيرة المدينة موضوع القصيدة
- ألا تتجاوز القصيدة الثلاثين بيتاً / سطراً شعرياً
- المشاركة مفتوحة لجميع الشعراء والشاعرات من مختلف الأعمار

تتم المشاركة بالدخول على موقع المنظمة على الانترنت وتعبئة الاستمارة المخصصة للمسابقة على هذا الرابط :

https://icesco.org/ar/get-engaged/مسابقة-مدن-القصائد/

وذلك اعتباراً من الأول من أغسطس 2025

الجوائز

تقدم المنظمة ثلاث جوائز لأفضل ثلاث قصائد :

كما سيصدر ديوان يضم القصائد الفائزة والقصائد المميزة التي شاركت بالمسابقة.

آخر موعد لقبول المشاركات هو :
الحادي والثلاثين من ديسمبر 2025

الأخيرة

دار الكتب المصرية: رحلة في التراث الإسلامي عبر الزمن

أمل فوزي

رئيس تحرير سابق بمؤسسة الأهرام وخبيرة إعلامية بجامعة الدول العربية

دار الكتب المصرية ليست مجرد متحف لحفظ المخطوطات، بل هي مركز إشعاع حضاري وجسر يربط الماضي بالحاضر، وموئل للكنوز التي تشهد على عظمة الثقافة الإسلامية وتأثيرها العميق في مسيرة البشرية.

وعلى الرغم من أن الذاكرة التاريخية تشير إلى مكتبة جامعة القرويين بفاس (859م) وبيت الحكمة ببغداد باعتبارهما أولى المكتبات في العالم الإسلامي، فإن دار الكتب المصرية - التي احتفلت هذا العام بمرور 155 عامًا على تأسيسها - تُعد من أهم وأقدم المكتبات التي تضم مخطوطات إسلامية نادرة.

فالخديوي إسماعيل، الذي أصدر قرارًا بتأسيسها، كان يولي المخطوطات الإسلامية اهتمامًا كبيرًا، لاسيما وأنه كان من المتعارف عليه أن العائلات الكبرى كانت تحرص على اقتنائها، ثم تقوم بوقفها للمساجد. وكان شقيقه الأمير مصطفى فاضل من أبرز جامعي هذه المخطوطات، حيث خصص لها الدور الأول من قصره بدرب الجماميز في السيدة زينب. وبعد نفي الخديوي لأخيه مصطفى باشا إلى الأستانة، قرر تخصيص قصره ليكون مقرًا لـ «الكتبخانة». فأصدر قرارًا بإنشاء الدار عام 1870، وكلف علي باشا مبارك، ناظر المعارف، بهذه المهمة، والذي أنشأها على غرار المكتبة الوطنية في باريس وعمل على جمع المخطوطات من المساجد المختلفة وحفظها وترميمها. وفي عام 1899، وبعد أن أصبح القصر مكتظًا بآلاف المخطوطات، أصدر الخديوي عباس حلمي الثاني قرارًا بإنشاء دار كتب جديدة في منطقة باب الخلق، وافتتحت عام 1904، وكانت تضم أكثر من 30 ألف مخطوطة أثرية نادرة تشهد على تاريخ طويل من المعرفة والحضارة التي كانت الثقافة الإسلامية منبعها الأساسي.

عند التجول في أروقة دار الكتب المصرية، تتضح أمامك حقيقة مفادها أن الثقافة الإسلامية قد عبرت الحدود وتجاوزت الحواجز والفوارق بين الشعوب والدول. وإن كانت في الوقت نفسه لم تَطمس الهويات الوطنية، فقد احتفظت كل ثقافة بقيمها وفنونها، وإن تماهت مع الفكر الإسلامي، وهو ما بدا واضحًا سواء في المخطوطات العربية أو التركية أو الفارسية.

ويشكل التراث الإسلامي إرثًا إنسانيًا بالغ الأهمية في ذاكرة التراث العالمي. والحفاظ على هذا الإرث يتم من خلال المتاحف ودور الكتب الوطنية، وأيضًا من خلال تسليط الضوء عليه - وهو الاتجاه الذي تبنته منظمة الإيسيسكو من خلال تدشين احتفالية سنوية لإحدى عواصم الدول الأعضاء بها كعاصمة للثقافة الإسلامية، والذي يبرز من خلاله كيف تأثر الإسلام وأثّر في العالم فكريًا وفنيًا وثقافيًا. فاحتفال الإيسيسكو بسمرقند كعاصمة للثقافة الإسلامية لهذا العام هو تأكيد على الامتداد الحضاري للإسلام، ودليل حيّ على أن المعرفة لا تعرف حدودًا، وأن الثقافة الإسلامية هي جسر يربط بين الشعوب والحضارات.

ولولا تلك الزيارة، لربما ما كنت قد أدركت مدى تأثير دولة كأوزبكستان أو مدينة مثل سمرقند في الثقافة الإسلامية. فدار الكتب تضم عشرات المخطوطات النادرة التي حملت فكرًا وثقافة وفنونًا من تلك الدول، وشكلت ركنًا أساسيًا من الفكر والثقافة والحضارة الإسلامية، ككتب الخوارزمي والبيروني والبخاري والترمذي والفارابي وغيرهم من العلماء الذين أثروا الثقافة الإسلامية والفكر الإنساني العالمي. ولقد شكلت دار الكتب حصنًا أمينًا لتلك المخطوطات.

وتحتوي دار الكتب على أكثر من 65 ألف مخطوطة، منها مخطوطات فريدة لا مثيل لها، مثل نسخة مصحف عثمان بن عفان، التي تُعتبر النسخة الوحيدة في العالم، ويُقال إن بها بعضًا من قطرات دم تعود له شخصيًا. كما تضم الدار نسخة من مخطوط البخاري ونسخًا نادرة من المصاحف المملوكية. دراسة هذه المخطوطات بعمق تكشف المراحل التي مرت بها اللغة العربية والتطور الكبير الذي حدث في حروفها وخطوطها وطرق كتابتها. والأهم من ذلك، أنها تُظهر التمازج بين الثقافات الإسلامية المختلفة، سواء كانت العربية أو الفارسية أو التركية أو غيرها من الثقافات التي تركت فيها الثقافة الإسلامية بصمة مشتركة.

ولقد تولى رئاسة دار الكتب رموز فكرية وأدبية رفيعة، وفي مقدمتهم الدكتور أحمد لطفي السيد والأديب الراحل توفيق الحكيم والشاعر صلاح عبد الصبور.

دار الكتب المصرية هي صرحٌ شامخٌ يعكس تاريخًا عريقًا من الفكر والعلم، فهي لا تكتفي بحفظ المخطوطات، بل تُقدم نموذجًا حيًا لكيفية بناء الجسور بين الثقافات والحضارات. ويُعد دعم هذه المؤسسات الحيوية، والاحتفاء بالمدن التي تُسهم في إثراء الثقافة الإسلامية، ضمانة لاستمرار إشعاع التراث الإسلامي كرافد أساسي للحضارة الإنسانية جمعاء.

أعمال الدورة السادسة لمنتدى رؤساء جامعات العالم الإسلامي - مقر الإيسيسكو - 23 يونيو 2025

JOIN US ! انضموا إلينا REJOIGNEZ-NOUS